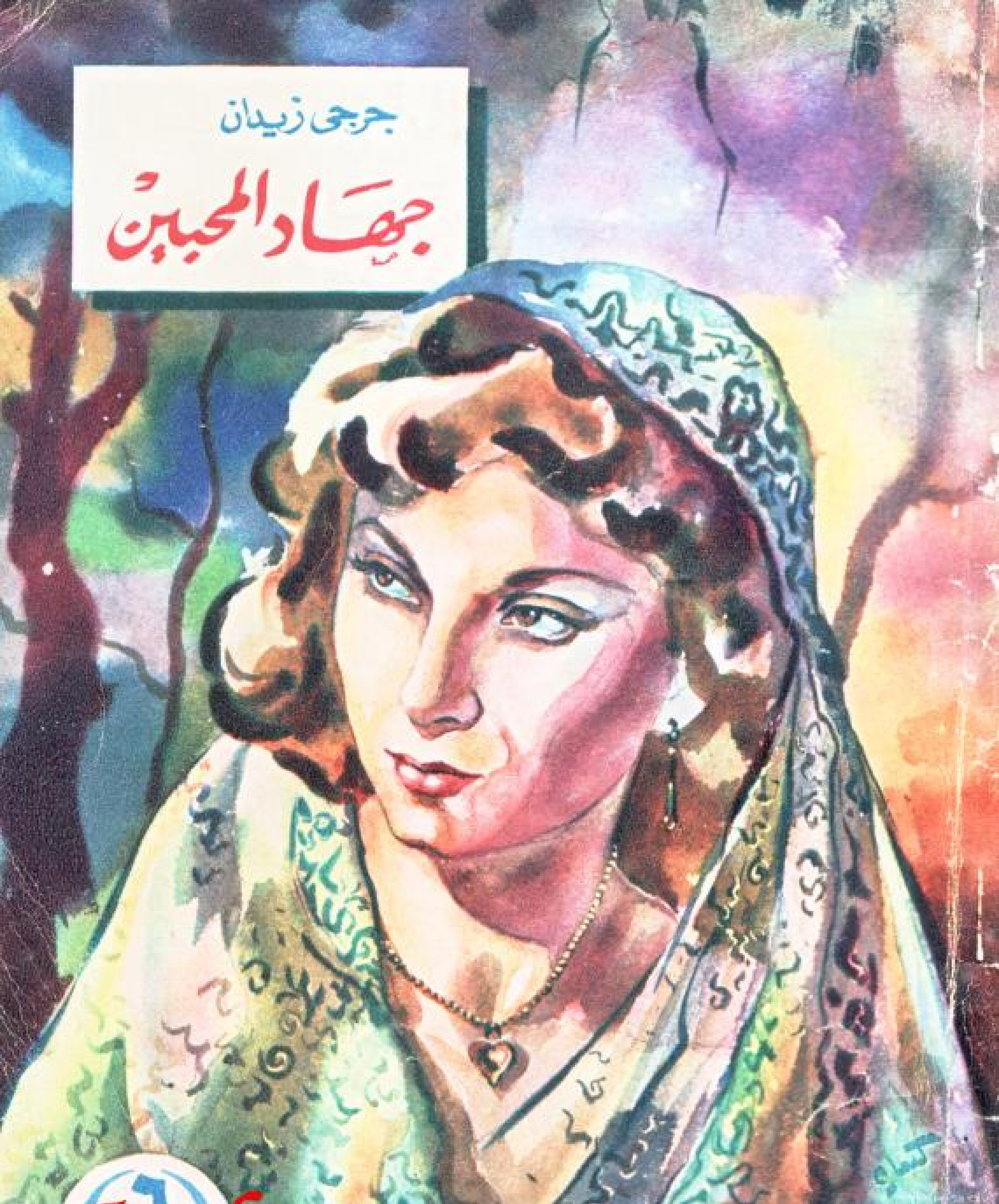
جرجي زيدان

جهاد المحبين



روايات الهلال

روايات الهلال

صاحباها ورئيسا تحريرها : اميل زيدان وشكرى زيدان

مدير التحرير : طاهر الطناحى

العدد ٢٣ * نوفمبر ١٩٥٠ * صفر ١٣٧٠

بيانات ادارية

ثمن العدد فى مصر والسودان ٦٠ مليما – فى الاقطار العربية عن الكميات المرسلة بالطائرة : فى سوريا ٨٠ قرشا سوريا – فى لبنان ٨٠ قرشا لبنانيا – فى فلسطين ٧٥ ملا – فى شرق الاردن ٩٠ ملا – فى العراق ٨٥ فلسا

قيمة الاشتراك عن سنة (١٢ عددا) : فى القطر المصرى والسودان ٦٠ قرشا – فى سوريا ولبنان ٨٠٠ قرش سورى او لبنانى – فى فلسطين وشرق الاردن ٨٠٠ مل – فى العراق ٨٠٠ فلس – فى المملكة العربية السعودية ٨٠ قرشا صاغا فى الاميركتين الشمالية والجنوبية ٦ دولارات فى سائر انحاء العالم ١٠٠ قرش صاغ أو ٦/٢٠ شلنا

طريقة الدفع

فى مصر والسودان : نقدا أو بموجب اذونات أو حوالات بريدية أو شيكات – فى خارج القطر المصرى : بموجب حوالة مصرفية على احد بنوك القاهرة أو حوالة نقدية (Money Order) او الى احد وكلائنا اذا كان هناك وكيل . ولا يمكن قبول اذونات البريد أو العملة الاجنبية

مركز الادارة : دار الهلال ١٦ شارع المبتديان – القاهرة
المكاتبات : روايات الهلال – بوستة مصر العمومية – مصر
التليفون : ٧٩٨١٠ (تسعة خطوط)
الاعلانات : يخاطب بشأنها قسم الاعلانات بدار الهلال

مرحلتنا الجديدة

عزيزى القارىء

هذه الرواية التى بين يديك آخر رواية من روايات جرجى زيدان . وقد قدمنا لك منها اثنتين وعشرين رواية فى نحو عامين . صادفت اقبالا مشكورا فى جميع الاقطار العربية والاسلامية

وفى الشهر القادم ننتقل بك الى مرحلة جديدة من روايات الهلال ، فقد اعددنا لقرائنا سلسلة ممتعة من روائع القصص العالمى لاكبر الكتاب الممتازين فى فن القصة الذين تناولوا الحياة الانسانية فى ماضيها وحاضرها بالدرس والنقد والتحليل ، واخرجوا عنها روايات شائقة بعضها تاريخى وبعضها ادبى أو اجتماعى . وسنبدأ هذه المرحلة برواية :

« غرام نابليون فى مصر »

وهى رواية تاريخية تصدر فى ١٥ ديسمبر . يقصها الكاتب الفرنسى الاشهر روجيه ريجيس ، ويقدم صفحة من التاريخ الفرنسى المرتبط ارتباطا وثيقا بالتاريخ المصرى فى أواخر القرن الثامن عشر . فقد وجد هذا القائد العبقرى متسعا للغرام فى وقته المملوء بالهموم العسكرية والسياسية والادارية والاجتماعية . وكان له عدة وقائع غرامية ، ولكن أعظمها اهمية تلك الواقعة التى اغرم فيها بزوجة ضابط فرنسى فى الجيش يدعى « فوريس » . وقد طلقها نابليون من زوجها ، وأوشك ان يطلق زوجته من اجلها لكى يقترن بعشيقته

وقد صاغ المؤلف هذه الرواية فى أسلوب روائى جذاب ، توخى فيه الحقائق التاريخية بدقة وأمانة . ونال عليها جائزة « القصة التاريخية » سنة ١٩٣٦ – ولهذا عنينا باختيارها لك أيها القارىء لما فيها من فوائد تاريخية ، ومالها من مكانة ادبية وقيمة روائية . وهى الى ذلك تكشف لك عن قلب قائد عظيم نال الظفر بجيوشه الجرارة شرقا وغربا ، ولكنه انهزم فى معركة الحب قبل أن ينهزم فى ساحة القتال

أبطال الرواية

سليم : محام شاب بالقاهرة
حبيب : موظف حكومى بالقاهرة ومقيم بحلوان
سلمى : خطيبة سليم
ادما : خطيبة حبيب
شفيقة : اخت حبيب
سليمان : والد سلمى
سعيد : والد ادما
فؤاد : شقيق سليم ومقيم بالاسكندرية مع امهما
داود : تاجر اسكندرى بالقاهرة
وردة : أرملة غنية بالاسكندرية
اميلى : ابنة وردة

فى حديقة الازبكية

أقيم بحديقة الأزبكية بالقاهرة فى ٢١ يونيو سنة ١٨٨٧ احتفال كبير لمناسبة مرور خمسين عاما على تولى الملكة فكتوريا عرش انجلترا ، فزينت الحديقة بالانوار ، وتقاطر اليهـا الناس زرافات ووحدانا نساء ورجالا واولادا من جميع الطوائف والملل ، وكلهم فرحون بما اعد فى تلك الليلة من دواعى البهجة ومعالم الزينة

وكان الناس يخطرون جماعات فى طرقات الحديقة وحول بركتها وعلى جوانب الساحة التى كانت الموسيقى تصدح فيها . فلم تكن ترى بينهم الا وجوها باسمة وقدودا مائسة ، هـذا يخاطب صديقا له ويمازحه ، وذاك يداعب ولده ويلاعبه ، وتلك تنادى فتاتها لتسير بجانبها خوفا عليها من ان تتيه بين الجماهير . وآخرون جالسون الى موائد صغيرة يسمعون عزف الموسيقى او يتاملون جمال الطبيعة وتلألؤ الأنوار

وكانت أبواب الحديقة غاصة بالداخلين والخارجين ، والحجاب يمنعون الناس من الدخول بغير رقاع الدعوة ، والشرطة يهولون على الرعاع لئلا يكدروا بمزاحمتهم وضوضائهم صفو الاحتفال

فلما كانت الساعة التاسعة مساء ، وصل الى احد أبواب الحديقة شاب يرتدى الملابس الافرنجية ، جميل الصورة ، ربع القـامة رشيقها ، ولـكن وجهه كان مقطبا عبوسا تلوح عليه علائم الـكآبة والارتباك ، ويبدو مستغرقا فى التفكير ، فلما رأى ازدحام الناس هناك انتبه بغتة كانه هب من رقاد ، ثم مد يده الى جيبه واخرج رقعة الدعوة ودفعها الى الحاجب فسمح له بالدخول

وقف الشاب بعد أن قطع خطوات داخل الحديقة ، وبدا حائرا لا يدرى الى اى جهة يسير ، ثم استأنف سيره الى ساحة الموسيقى .

وكان لارتباكه وهواجسه كأنه سائر فى خلاء قفر لا يستوقفه منظر ، حتى وصل الى المقهى القائم بجانب الساحة فعرج عليه وجلس على كرسى به ، ثم أشعل سيجارته واخذ يدخن والناس يخطرون امامه ذهابا وايابا بين رجال ونساء وأولاد فى مختلف الازياء ، وتلوح عليهم امارات السرور ، لـكنه لم يكن ينتبه لحركاتهم وضحكاتهم ، وبقى فى شاغل عنهم بما يفكر فيه ، ويده تعبث بعصاه ، وكلما انتهى من تدخين سيجارة اشعل اخرى حتى امتلأ الجو حوله بالدخان

ولم ينتبه من غيبوبته هذه حتى جاء غلام القهوة يسأله عما يريد ، ولم يكن فى حاجة الى شيء يشربه أو يأكله ، ولـكن العادة قضت عليه بطلب بعض المشروب فجيء به اليه ، ثم عاد الى ما كان فيه من الاستغراق فى التفكير

وفيما هو فى ذلك شعر بيد لمست كتفه ، وسمع فى الوقت نفسه صوت هاتف باسمه يحييه ، فالتفت مبغوتا فاذا بصديق له ينظر اليه مبتسما وقد مد يده لمصافحته . فنهض للقائه وصافحه ، وشعر لدى مشاهدته بانه كان فى ضيق وأتاه الفرج ، فدعاه الى الجلوس قائلا : « اهلا وسهلا بك يا عزيزى سليم » . فجلس سليم وهو يقول : « انى لسعيد برؤيتك يا عزيزى حبيب ، لـكن ماذا جاء بك الى هنا وعهدى بك انك مقيم بحلوان ؟ »

فقال حبيب : « جئت لتفريج كربتى بمشاهدة هذا الاحتفال ، لـكننى لم أزدد الا كربا ، وقد ارسلك الله الى فى ساعة الحاجة اليك » . ثم تنهد وواصل حديثه قائلا : « نعم انا فى ارتباك عظيم يا سليم ، على انى أحمد الله اذ بعث بك لتعزيتى ، ولا غـرو فان الصديق الصادق من شارك صديقه فى السراء والضراء »

واشعل سليم سيجارته ، ونظر الى حبيب نظرة تفيض بالمودة والاخلاص ، ثم قال : « لا أراك الله ضيقا يا صديقى ، انك والله لأعز من الصديق واقرب من الاخ واذا لم يدفعنى الى غوثك دافـع الحب فعشرة الصبا وحقوق التربية تتكفلان بذلك »

فقال حبيب وقد كادت ظلمة العبوسة تنقشع عن وجهه : « لقد قضت الظروف بأن التحق بخدمة الحكومة المصرية كما تعلم ، وهى خدمة ما كان أسعدها لو لم يكن من امرها ما هو جار الآن من استغناء الحكومة عن كثير من موظفيها ، اقتصادا فى النفقات . ولم يكن يخطر ببالى يوم انتظمت فى سلك الوظيفة أن يكون هذا مصيرها ، وقد قضيت خمس سنوات أعمل بهمة ونشاط حتى كانت الثورة العرابية فهاجرت من هذه الديار ومعى والدتى وشقيقتى ، فتكبدنا مشاق الاسفار ، وانفقت ما كنت قد ادخرته من راتبى الشهرى ، وحينما عدت فى أوائل السنة الماضية لم اكن املك قرشا واحـدا ولـكنى استطعت العودة الى منصبى الحكومى ، وبدأ حالنا يتحسن وكدنا ننسى تلك المشقات والاسفار ، لولا ان داهمنى القدر بما لم يكن فى الحسبان » . قال ذلك وتأوه

فتطاول سليم بعنقه اليه فى اهتمام وسأله ان يكاشفه بحقيقة الأمر

فقال حبيب : « علمت من ثقـة أن الحـكومة ما زالت معتزمة الاستغناء عن بعض الموظفين ، وقد اخبرنى أحد الاصدقاء بأن هذا الاستغناء سيشملنى ، ولا يخفى عليك أن بيتى مفتوح وجيبى خال للأسباب التى قدمتها »

فقال سليم : « من الذى انبأك بذلك ؟ »

قال : « انبأنى به صديقنا حسـان »

فهز حبيب راسه مستهزئا وقال : « ومن اخبره بذلك ؟ ان الامر لعلى عكس هذا »

قال : « لقد أكد لى ان الخبر صحيح لاريب فيه »

قال : « ثق بأنه خبر عـار من الصحة بل هـو عكس الواقع تماما »

فأبرقت أسرة حبيب ونظر الى سليم بعين المستطلع وقال : « وكيف ذلك ؟ لعلك تمزح ؟ »

قال : « كلا لست مازحا ، وليس ما بلغك الا محض [illegible]

اخبرك به صاحبنا الا لغرض لنفسه انت تعلمه . والحقيقة انك ستنال مركزا احسن مما انت فيه و . . »

فقطع عليه الكلام قائلا : « أحق ما تقول ، ومن اين علمت هذا ؟ »

قال : « نعم ، انك سترتقى الى مركز احسن فى نظارة الداخلية ، وقد علمت ذلك من ثقة ، فكن مطمئنا ، وان غدا لناظره قريب ، فلا تبتئس ولا تجزع »

قال حبيب وقد انبسط وجهه : « حقق الله الآمال يا عزيزى ، والله انك لوجه السعد ، ولولا مجيئك لكنت أصبت بمرض لفرط قلقى وهواجسى . وانى لأشكر لك صدق مودتك واحمد الله على ما بشرتنى به »

فقال سليم : « ان الله هو الرزاق ، وهو سبحانه واسع الفضل والرحمة . وهب انك خرجت من خدمة الحكومة ، فالاعمال الاخرى كثيرة وابوابها مفتحة لمثلك »

قال : « نعم ، لله الحمد على كل حال ، وهو لا ينسى احدا من خلقه . وانما أهمنى أن من يترك خدمة الحكومة نادرا ما يوفق فى غيرها ، وليس هذا لقلة الاعمال الاخرى ولكن لتعوده الراحة وتقاعده عن اكتساب ما يؤهله لسواها ، ولقد مرت بذاكرتى هذه الليلة سيرة حياتى الماضية فندمت ندما لامزيد عليه لأنى لم أعمل بمشورة أبى رحمة الله عليه واتعاطى التجارة معه ، ولو انى اطعته لكنت فى غنى عن هذا الارتباك ، ولكن ما قدر كان »

☐

مضى الصديقان يتجاذبان اطراف الحديث ، وقد زايل حبيبا تردده وارتباكه وأخذ يمتع نظره بما حوله من المناظر . ثم قال لسليم : « ترى ما الذى جاء بك الى هنا الليلة ، تاركا مشاهدة خطيبتك المحبوبة ؟ أم لعلك تسر بمشاهدة هذه الانوار وتأنس

بهذا الازدحام اكثر من سرورك وأنسك بمشاهدة عروسك المقبلة ؟ »

فعلا وجه سليم الاحمرار لتذكره خطيبته وما يقاسى من اجلها ، ولكنه حاول اخفاء عواطفه وهواجسه فسكت برهة وحبيب يراقب حركاته كأنه يريد استطلاع مكنونات قلبه ، لعلمه بما هناك من روابط المحبة بينه وبين خطيبته . ثم قال سليم محاولا اخفاء مافى ضميره : « لقد قضيت معها فترة قصيرة أول هذه الليلة ، ثم رأيتها فى حاجة الى الرقاد فتركتها لتمضى الى فراشها وجئت اقضى بقية السهرة فى هذه الحديقة »

فلم يقتنع حبيب بذلك ، ولكنه اظهر الاقتناع به على ان يستطلع حقيقة الامر بنفسه فى الغد ، ثم لاحظ على سليم أنه عاد الى الصمت وقد علت أسرته الكآبة وبدا عليه الاضطراب ، فقال له مبتسما : « أرى صديقى قد وقع فيما كنت فيه ؟ . فهل ترى ذلك خوف الفصل من الخدمة ايضا ؟ »

فعلا وجه سليم الاحمرار ، وحاول التكلم لكنه تلجلج وعاد الى الصمت ، ولم يشأ حبيب أن يلح عليه فى السؤال حتى لايجرح عواطفه أو يحرجه . وكانت الموسيقى قد انتهت من العزف فوقف وقال لصديقه : « الا توافقنى على أن نتمشى فى الحديقة قليلا لنتمتع بمناظرها ؟ »

فوقف سليم وهو يحاول عبثا اخفاء عواطفه ، وحبيب يتجاهل أمره ويحدثه فى أمور مختلفة تتعلق بالزينة وبهرجها واشتغال الناس بها ، تسكينا لما لاحظه عليه من حدة القلق ، وان كان شديد الميل الى معرفة قلقه وانقباضه

ومشيا صامتين بعض الوقت وكل منهما يفكر فى أمر ، الى ان وصلا الى باب الحديقة الشمالى ، فنظر حبيب الى ساعته فاذا الساعة قاربت العاشرة فقال لسليم : « هلم بنا نخرج الى مكتب البريد لأنى أنتظر بريدا من أوربا هذه الليلة » . فوافقه وخرجا من الحديقة ، ومشيا حتى وصلا الى مكتب البريد ، وسال ال [illegible]

الموظف المختص : « هـل توجد لديه خطابات باسمى » . ففحص الخطابات الموضوعة امامه ، واخرج من بينها خطابين ، ناول احدهما لسليم والآخر لحبيب

وتناول حبيب كتابه وقرأ عنوانه فاذا هو بخط كانه يعرفه ، ثم نظر الى طابع البريد على الغلاف فاذا هو طابع مصرى وعليه خاتم مكتب بريد القاهرة فعلم أنه صادر منها ، ففض الخطاب واخذ يتلوه لنفسه فاذا فيه

« يا سادتى هل يخطرن ببالـكم   من ليس يخطر غيركم فى باله ؟

« يا شقيق الروح ومالك الفؤاد

« أكتب اليك هذه الـكلمات بغير امضاء ، والقلب يخفق ، واليد ترتعش ، فاذا خفق قلبك وارتعشت يداك ، فلعلك تدرك بعض مالك فى قلبى من المحبة التى كتمتها حتى طفحت ، ولعلك اذا عرفت ذلك ان ترثى لى ، والا فانها شكوى أبثها لمن ملك قلبى مع بقـاء امرى مكتوما فى ضميرى عنه وعن سـواه الى ان يقضى الله بمـا يشاء »

فبغت حبيب واخذ يعيد تامل الخطاب ويكرر قراءته متعجبا ، ثم حانت منه التفاتة الى سليم ، فاذا هو يتلو الخطاب الذى تسلمه وقد امتقع لونه واخذت الورقة تنتفض فى يده ، فطوى حبيب كتابه وخاطب سليما قائلا : « خيرا ان شاء الله يا سليم ؟ »

فقال : « ليس هناك سوى الخير يا عزيزى » . ثم طوى الـكتاب ووضعه فى جيبه ، ومشى يريد الخروج من مكتب البريد ، فمشى حبيب بجانبه وهو يفكر تارة فى كتابه ، وطورا فيما ظهر على صديقه من مظاهر الاضطراب ، واراد استطلاع حقيقة حاله فمنعه التأدب ، لـكنه قرر فى نفسه استعمال الحيلة للوقوف على سر اضطراب سليم ، واخذ يجاذبه اطراف الحديث الى ان قال له : « تبارك الخلاق العظيم ، اليس من دلائل قدرة الله انك لا تكاد تجد بين الناس اثنين يتفقان فى الخلقة والاخلاق ؟ وقد صدق من قال :

« انمـا نحن فى اختلاف عقـول   مثلمـا نحن في اختلاف وجوه »

ولما آنس منه اصغاء ، واصل كلامه فقال : « انى اذا اغضبنى امر لا استطيع اخفاء عواطفى قط ، فان كان الى جانبى احد عرف اننى فى انقباض كما عاينت ذلك فى هذه الليلة »

فتنهد سليم وقال : « لعل ذلك ينطبق على أيضا » . وكأنه احس بقرب تغلب صديقه على لسانه فبادر بقطع الحديث وتعلل بميله الى الرقاد قائلا : « انى اشعر بتعب والم فى الراس ، ولهذا افضل الرجـوع الى البيت الآن ، وان كنت أود قضـاء بقيـة السهرة برفقتك »

فأدرك حبيب مراده ولـكنه تجاهل وقال : « ان النوم افضل شىء للراحة ، وانا أيضا أحس مثل هذا التعب لما كنت فيه من الشواغل فى هـذه الليلة ، وارجو ان أدرك القطـار الذاهب الى حلوان الآن »

ثم مد يده مودعا ، فتصافحا وسار كل فى سبيله وفى نفسه امر يحاول اخفاءه عن رفيقه

شقاء المحبين

مشى حبيب قاصدا الى محطة باب اللوق فلما توارى عن صديقه اخرج من جيبه الخطاب الذى تسلمه من مكتب البريد ، وجعل يردد نظره فيه ويقرؤه تكرارا مستعينا بأنوار الشوارع على تأمل الخط النسائى الذى كتب به

وما زال كذلك حتى وصل الى المحطة فاذا بالقطار قد اقلع منها الى حلوان منذ دقائق ، وسأل عن القطار التالى اليها فعلم أنه يقوم فى منتصف الليل ، فساءه ذلك لما هو فيه من الهواجس والارتباك .

ثم راى ان يمضى فترة الانتظار فى التنزه ، فتوجه الى الجزيرة ليقضى هناك ساعة ثم يعود ليستقل القطار ، وكان يسير والخطاب فى يده ، وافكاره تتجاذبها الهواجس ، وراح يستعرض بذاكرته البيوت التى يختلف اليها والسيدات اللواتى عرفهن لعله يعرف كاتبة الخطاب ، فلم ينتبه لنفسه الا وهو على كوبرى قصر النيل ، فوقف هناك يتأمل منظر الماء الجارى ، ويشنف سمعه بموسيقى خريره وارتطامه باعمدة الكوبرى . وراقته الانوار المتلألئة على جانبيه كأنها كواكب ثابتة فى ذلك الفضاء ، فمضى يمشى الهوينى حتى وصل الى الجزيرة ودخل شارعها المظلل بالاشجار فمشى فيه ، ثم عرج الى منعطف نحو الشاطىء فسمع قرقعة عربة مارة فى الشارع ، ثم رآها وقفت ، فتربص ليرى ما يكون من امرها ، فاذا بشخص ينزل منها ويمشى فى منعطف بالقرب من النخلة التى اختفى هو خلفها حتى بلغ النيل ووقف قليلا ، ثم انحدر الى اسفل الشاطىء وجلس على حجر هناك

وتأمله حبيب فاذا به يشبه صديقه سليما ، ثم تحقق انه هو بعينه ، فاشكل عليه امره وعجب لمجيئه الى هناك فى ظلام الليل وقال فى نفسه : « يحسن ان امكث مختفيا لأرى ماذا جاء به الى هنا » . ثم تذكر ما رآه فيه من الارتباك ذلك المساء فخاف ان يكون قد وقع فى اليأس واراد الانتحار غرقا فى النيل ، فمشى بضع خطوات بكل خفة حتى أصبح وراءه وجلس مختفيا وراء نخلة اخرى هناك ليرى ما يكون من أمره ، وليسارع الى انقاذه اذا رآه يلقى بنفسه فى النيل ، وشكر الله على ما كان من تأخره عن اللحاق بالقطار الى حلوان

اما سليم فانه جلس الى الشاطىء مطرقا والماء جار امامه والظلام مستول على تلك الجهة الا ما يصل اليها من الاشعة البعيدة المنبعثة من انوار الكوبرى . وبعد قليل اخذ يتلفت يمنة ويسرة كانه يحاذر ان يراه احد ، ثم تنفس الصعداء وقال متحرقا : « آه من حوادث الزمان ، وآه من جهالتى وقلة تدبيرى ، آه يا سلمى يا حبيبتى ومنى فؤادى »

ثم خنقته العبرات فأطلق لنفسه عنان البكاء حتى سمع حبيب صوت شهيقه فتفتت قلبه حزنا عليه وجاشت عواطفه حتى كاد يشاركه البكاء ، لكنه امسك ليرى ما يكون منه بعد ذلك فاذا به بعد البكاء والشهيق برهة عاد فقال : « اى سلمى حبيبتى ، انى احبك والله حبا لم اشعر بمثله لغيرك ، ولم اكن أعلم ان الحب يملك القلب ويتسلط على العواطف الى هذا الحد . آه ما احلى الحب وما امره »

وعاد الى البكاء حينا ، ثم قال محدثا نفسه : « آه يا سليم ! هل خطر ببالك انك تصبح العوبة بيد الحب وانت انت الذى لم تكن تعبأ بحوادث الزمان ولا باى امر من الامور ؟. آه يا الهى !. ماذا اعمل لأتخلص من هذا التردد ؟. اأترك سلمى ؟. . كلا والله لا اتركها ولا اتخلى عنها لانها تحبنى وقد علقت آمالها على وعدى لها بالزواج ، وهى ملاكى وحبيبتى ومنتهى املى . لا لا . لا اتخلى عنها لانى لا ادرى ماذا يلم بها اذا علمت بترددى فى محبتها . لا لا . يجب الا

اتردد ، انها كعبة آمالى . روحى فداك يا سلمى ، لعلك الآن راقدة فى فراشك وقد كحل عينيك الكرى ، فنامى هنيئا ولا تزعجك الاحلام ! »

وكان حبيب يسمع اقواله كلمة كلمة ويتمعن فيها لعله يستطلع من خلالها سببا لهذه التأوهات

ثم سمعه يقول وقد أمسك نفسه عن البكاء ومسح عينيه بمنديله : « ماذا جرى لى ؟ لماذا انا خائف ؟. انى خائف على سرى ان يباح ولكن من يذيعه وليس هنا غير النيل شاهدا ؟ »

ثم سكت واخرج ورقة من جيبه وتأملها فى الظلام ، ثم تنهد وعاد الى البكاء وقال : « نعم لا اتركك يا سلمى ، ولكن ماذا افعل بوالدتى التى زهدت فى الدنيا كلها من اجلى ، ربتنى بدموعها وسهدها ، فأدخلتنى المدارس وعلمتنى ، وانفقت كل شىء فى سبيلى ولم تدعنى أتحمل ضيما ، وهى انما فعلت ذلك آملة ان اكرس حياتى لخدمتها ، وانها اهل لأكثر من ذلك فكيف اخالف امرها او اعقها ؟. لا لا . يجب ان اكون طوع ارادتها لأن ايامها فى هذه الدنيا معدودة .. يجب ان افعل كل ما تأمرنى به ! »

وسكت ثم عاد فقال : « لا لا . ان والدتى تريد ان اتخلى عن سلمى حبيبتى ، وانا لا أستطيع ان اترك سلمى ولو تركتنى روحى او تركتنى والدتى الحنون . ان سلمى وضعت كل آمالها فى فكيف اخيب أملها . واتركها تموت حسرة واسفا ؟. سامحك الله يا والدتى ! لماذا بالغت فى نهيى عن الاقتران بها ؟. ولماذا هددتنى بأن تتركينى اذا لم اترك سلمى ؟. اصحيح انك لن تعدينى ولدا لك اذا اصررت على زواجها ؟. ويلاه ماذا افعل ؟. ليس لى الا انهاء حياتى فاتخلص من هذا التردد والقى نفسى فى هذا النيل »

فلما سمع حبيب كلامه ، تحفز للحاق به وامساكه عن الانتحار غرقا ، لكنه ما لبث أن سمعه يقول : « لا لا . اذا قتلت نفسى فانى اكون قد قتلت والدتى وحبيبتى ايضا ، فهما ولاشك ستموتان حسرة بعدى »

ثم رآه ينهض ويتحول عائدا الى العربة ، فتقهقر حبيب مختبئا خلف النخلة حتى لا يراه سليم فيكدره ذلك لحرصه على اخفاء ما به عن الناس كافة ، وكانت العربة فى انتظار سليم عند اول الشارع فركبها وامر السائق فحول الاعنة وعاد به الى المدينة

وهنا رجع حبيب من حيث اتى ، وهو يعجب لذلك الاتفاق الذى كشف له عن سر صديقه ، وقد رثى لحاله وشعر بمقدار القلق الذى يعانيه . ولم يكن يعلم أن مشكلته معقدة الى هذا الحد

ونظر الى الساعة فاذا بالليل كاد أن ينتصف ، فهرول مسرعا الى المحطة خوفا من ان يفوته القطار ، فأدركه قبل اقلاعه بقليل

وفى طريق القطار به الى حلوان ، عاد فأخرج الخطاب الذى تسلمه من مكتب البريد واخذ يتأمله ويكرر تلاوته محاولا حل رموزه وكشف معمياته ، لكن محاولاته لم تزده الا ارتباكا ، ولم يستطع ان يعرف صاحبة الخطاب لانه كان يتردد على بيوت كثيرة فى القاهرة ويشاهد فتيات كثيرات ، ولم يكن يخطر له أمر الحب مطلقا ، ولذلك لم يكن ينتبه لحركات احداهن لخلو ذهنه من ذلك . على انه مع هذا ظل يستعرض فى ذاكرته من كان يزورهن كثيرا من اولئك الفتيات ، وتذكر واحدة منهن كان يسر لمشاهدتها للطفها ورقة جانبها وتواضعها ، وكانت من أكثر الفتيات رقة وتهذيبا ، ولم يلحظ منها مطلقا انها ممن يملن الى المغازلة بل كان يراها بعكس ذلك لاتتكلم الا بحساب ، ولا تأتى ما يشتم منه رائحة الطيش ، فاستبعد أن تكون صاحبة الخطاب

وقضى معظم الطريق فى مثل هذه الهواجس حتى وصل القطار الى محطة حلوان فطوى الخطاب ووضعه فى جيبه ونزل قاصدا منزله فاذا بوالدته لا تزال فى انتظاره وقد استبطأته . فلما قرع جرس الباب نادته باسمه فأجابها ففتحت الباب واستقبلته سائلة عن سبب تأخره ، فلفق لها عذرا قبلته ، ثم سأل عن اخته فقالت له : « انها فى الفراش منذ وقت قصير ، لان اسرة الخواجه سعيد جاءت لزيارتهم عند العصر ، ولم تعد الى القاهرة الا فى القطار الاخير الذى غادر حلوان منذ قليل »

فلما سمع اسم تلك الاسرة ، خفق قلبه بشدة لم يعهدها قبل ذلك ، وسأل والدته : « وكيف حال الخواجه سعيد واسرته ؟ »

فقالت : « هم جميعا بخير ، وقد تناولوا العشاء هنا وسألوا عنك كثيرا ، وقبل ان يبرحونا بالقطار الاخير اتفقنا على ان نسير معا يوم الجمعة القادم الى اهرام الجيزة للتنزه ، على ان تذهب شقيقتك شفيقة معنا ، لأن الآنسة ادما ابنة الخواجة سعيد طلبت ذلك ، وانت تعلم مقدار حبها لشفيقة وحب شفيقة لها »

وما طرق اذنه اسم ادما ، حتى اشتد خفقان قلبه ، وحدثته نفسه بأنها هي لا سواها صاحبة الخطاب الذى تسلمه ، وكان اسمها قد تردد فى ذهنه وهو فى القطار ، لكنه تجلد وتمالك عواطفه ريثما تنكشف له الحقيقة ، وان شعر منذ تلك الساعة بميل شديد الى تلك الفتاة ، وود لو تكون هى مرسلة الخطاب اليه . ثم ودع والدته وذهب كل منهما الى فراشه . لكنه لم يستطع الرقاد لشدة هواجسه فبقى يتقلب فيه حينا دون ان ينام . ثم نهض ومضى الى خزانة كتبه فأخرج منها كتابا وعاد الى فراشه ، ليتلهى بمطالعته .

وشعرت به شقيقته وهو يمر بغرفتها فسألته عن سبب نهوضه من الفراش فقال : « جئت لآخذ رواية اطالع فيها ريثما انام »

قال ذلك ودخل الى سريره والشمعة مضيئة على مائدة بجانبه ، واخذ يقرأ فى الكتاب . لكن عواطفه كانت لا تسمح له بالمضى فى القراءة ، فكان يخرج الخطاب من جيبه بين آونة واخرى ويعيد قراءته

وقضى فى ذلك معظم الليل حتى كاد يطلع الفجر . واذا بوالدته داخلة غرفته وقدعجبت لسهره الى تلك الساعة . فلما شعربدخولها عليه اخفى الخطاب فى الكتاب واغلقه ، ولما سألته عن سبب سهره زعم لها انه مغتبط بمطالعة احدى الروايات ولم يشأ ان ينام قبل ان يتمها ، فصدقته ومضت لشأنها . اما هو فأخذ الكتاب ووضعه فى الخزانة واغلقها ثم عاد الى فراشه وقد انهكه السهر والتعب فنام الى ان حانت ساعة خروجه الى عمله ، فنهض وتناول قليلا من الشاى ، ثم مضى الى عمله

سليم وسلمى

عاد سليم فى العربة من شاطىء النيل وعيناه مبتلتان بالدموع وقد اخذ منه القلق كل مأخذ ، واشتدت به لوعة الغرام ، وكان يظن ان امره ما زال مجهولا من كل انسان على انه كان يشعر ان كتمانه حبه مضر بصحته وعقله ، ويود من صميم قلبه ان يلقى صديقا يبث اليه شكواه تخفيفا للوعته

ولا بد من شكوى الى ذى مروءة   يواسيك او يؤسيك او يتوجع

وكان يثق بصديقه حبيب كل الوثوق ولكن خشى مفاتحته بالأمر من تلقاء نفسه

ولكن حبيبا كان من الرقة وحسن الذوق على جانب عظيم ، فبقى رغم وقوفه على سر حب صديقه ، لا يخاطبه بشىء فى شأنه ، ولا يسأله عنه خوفا من ان يعد ذلك منه تطفلا او فضولا

وكان سليم مقيما بغرفة مفروشة فى نزل بأحد شوارع القاهرة ، لانه كان وحيدا بها ، ولم يأتها الا منذ بضع سنين ليمارس مهنة المحاماة ، ولما كان غير واثق بنجاحه فيها ، آثر الا يأتى بوالدته معه ، وتركها مقيمة بمنزل اخيه المتزوج فى مدينة الاسكندرية ، على ان يأتى بها لتقيم معه متى استقر به المقام بالقاهرة

واتفق له بعد مجيئه الى القاهرة ببضعة اشهر ، ان تعرف الى سلمى خلال تردده الى بيت ابيها ، وهو من ابناء بلدته ، فتعلق قلبه بها ، واعتزم خطبتها لنفسه لما آنس فيها من الادب والتهذيب والكمال . لكنه لم يخبر والدته بذلك اول الامر ، فلما اطلعها عليه بعد حين ، فوجىء بعدم موافقتها على هذه الخطبة ، وراجعها مرارا فلم تزدد الا اباء ، واخيرا بعثت اليه بذلك الخطاب الذى تسلمه من مكتب البريد ، مذكرة اياه بحقوقها عليه ، مؤكدة انها ان لم

يعدل عن خطبة الفتاة فلن تعده ولدها ، بل لن تبقى على قيد الحياة لأنها – ان لم تمت حسرة وكمدا – فستقتل نفسها لتستريح من شقائها بعقوقه ومخالفته ارادتها !

وكان رغم شدة تعلقه بسلمى ، واعجابه بخصالها ، لا يريد ان يخالف والدته ، فوقع فى حيرة كادت تدفع به الى وهدة اليأس والانتحار

فلما عاد الى غرفته اضاء الشمعة وبدل ثيابه ، ثم جلس الى مائدة بجانب سريره واخرج كتاب والدته ليعيد قراءته ، فلما نظر اليه عاد فطواه وارجعه الى جيبه خوفا من اثارة عواطفه ، واشعل سيجارة اخذ يدخنها وفكره مشغول بما هو فيه من الارتباك ، وباضطراره الى كتمان أمره عن خطيبته حتى لاتتكدر ، وربما ادى بها الحزن الى مالا تحمد عقباه

وما زال فى هواجسه هذه حتى الصباح ، فنهض الى عمله كالعادة ، وعند العصر ركب عربة مضى بها الى دار سلمى ليمتع طرفه وسمعه برؤيتها وحديثها ، وكان يرتاح لمجالستها وينسى وهو معها كل متاعبه ومشاغله

وما كادت المركبة تقف به امام البيت حتى سارعت سلمى الى استقباله وقلبها يطفح سرورا ووجهها يشرق ابتساما ، فلما دخل سلم على اهل البيت وقد ابرقت اسرته ، ثم مد يده الى سلمى مسلما وجلسا يتجاذبان اطراف الحديث وكل منهما لا يرفع نظره عن وجه الآخر ، وأهل المنزل فرحون بائتلاف قلبى الخطيبين وبما جمعه الله فيهما من صفات الكمال

وقالت سلمى له بعد قليل : « ارجو ان تكون قد سررت امس بمشاهدة الزينة فى حديقة الازبكية »

فقال : « الواقع انى سررت بها كثيرا ، ولكن سرورى لم يتم لانى كنت اود لو انك كنت معى لنشاهد تلك المناظر البديعة معا »

فقالت : « ان ما يسرك يسرنى ، وقد كنت طول الوقت منشرحة الصدر لعلمى ان صدرك سينشرح ولا شك بتلك المناظر »

قال : « بورك فيك يا عزيزتى ، وانى لأحمد الله على ان رايتكم

جميعا فى عافية . على انى كنت اود لو ان التقاليد لم تحل دون ذهابك معى فازداد سرورا بمصاحبتك »

قالت : « وماذا تعنى بذلك ؟ »

قال : « اعنى أن الناس لا يعلمون بما تم من أمر خطبتنا ، فلو انهم راونا نتنزه معا لادى ذلك الى تقولهم علينا ، مما لا ارضاه لك »

فخجلت سلمى وادركت انه يشير الى بقاء خطبتهما فى طى الكتمان ، ثم نظرت اليه نظرة كلها حب وحنان ، وقد تضرجت وجنتاها خفرا وحياء واطرقت ولم تتكلم

فتبسم سليم ، وقد ازداد اعجابا بجمال سلمى وكمالها . ثم وجه خطابه الى والدتها قائلا : « أليس كذلك يا سيدتى ؟ »

فقالت : « انك معدن اللطف والكمال يا ولدى ، ولكن الناس اكثرهم لا يتورعون عن القال والقيل . ومن الحكمة الا نتيح لهم الفرصة لذلك . وكل آت قريب »

قال : « هذا هو اعتقادى أيضا ، ولكننى اود ان نذهب للتنزه جميعا فى مكان خارج المدينة بمعزل عن الرقباء وتكونين وحضرة العم معنا فنقضى يوما من الايام الجميلة »

قالت : « نحن لا نتأخر عن القيام بما فيه سرورك »

قال : « ان سرورى لا يتم الا بسروركم جميعا » . ثم حول نظره الى سلمى مستطلعا رايها فقالت : « انت تعلم ما يسرنى ، فاتفقوا فيما بينكم على الموعد الذى يعجبكم وانا رهن مشيئتكم »

قال : « سنعين المكان والزمان فى فرصة اخرى »

ثم اخذوا فى احاديث مختلفة ، وفيما هم فى ذلك سمعوا رنين جرس الدار ، ثم دخل حبيب فقاموا جميعا للترحيب به ، فسلم عليهم وجلس يشاركهم الحديث ، ولما سألوه عن والدته وشقيقته قال : « هما فى خير وتهديانكم ازكى السلام ، وكان فى عزمهما الحضور الى القاهرة اليوم ، ثم آثرتا تأجيل ذلك الى يوم الجمعة المقبل ، لتقضيا معكم بعض الوقت ، ثم تتوجهان الى بيت الخواجه سعيد ، لاننا تواعدنا مع أسرته على زيارة الاهرام معا ، ويا حبذا لو شاركتمونا هذه الزيارة »

يعدل عن خطبة الفتاة فلن تعده ولدها ، بل لن تبقى على قيد الحياة لأنها — ان لم تمت حسرة وكمدا — فستقتل نفسها لتستريح من شقائها بعقوقه ومخالفته ارادتها !

وكان رغم شدة تعلقه بسلمى ، واعجابه بخصالها ، لا يريد ان يخالف والدته ، فوقع فى حيرة كادت تدفع به الى وهدة اليأس والانتحار

فلما عاد الى غرفته اضاء الشمعة وبدل ثيابه ، ثم جلس الى مائدة بجانب سريره واخرج كتاب والدته ليعيد قراءته ، فلما نظر اليه عاد فطواه وارجعه الى جيبه خوفا من اثارة عواطفه ، واشعل سيجارة اخذ يدخنها وفكره مشغول بما هو فيه من الارتباك ، وباضطراره الى كتمان امره عن خطيبته حتى لاتتكدر ، وربما ادى بها الحزن الى مالا تحمد عقباه

وما زال فى هواجسه هذه حتى الصباح ، فنهض الى عمله كالعادة ، وعند العصر ركب عربة مضى بها الى دار سلمى ليمتع طرفه وسمعه برؤيتها وحديثها ، وكان يرتاح لمجالستها وينسى وهو معها كل متاعبه ومشاغله

وما كادت المركبة تقف به امام البيت حتى سارعت سلمى الى استقباله وقلبها يطفح سرورا ووجهها يشرق ابتساما ، فلما دخل سلم على أهل البيت وقد ابرقت اسرته ، ثم مد يده الى سلمى مسلما وجلسا يتجاذبان أطراف الحديث وكل منهما لا يرفع نظره عن وجه الآخر ، واهل المنزل فرحون بائتلاف قلبى الخطيبين وبما جمعه الله فيهما من صفات الكمال

وقالت سلمى له بعد قليل : « ارجو ان تكون قد سررت امس بمشاهدة الزينة فى حديقة الازبكية »

فقال : « الواقع انى سررت بها كثيرا ، ولكن سرورى لم يتم لأنى كنت اود لو انك كنت معى لنشاهد تلك المناظر البديعة معا »

فقالت : « ان ما يسرك يسرنى ، وقد كنت طول الوقت منشرحة الصدر لعلمى ان صدرك سينشرح ولا شك بتلك المناظر »

قال : « بورك فيك يا عزيزتى ، وانى لاحمد الله على ان رايتكم

جميعا فى عافية . على انى كنت اود لو ان التقاليد لم تحل دون ذهابك معى فازداد سرورا بمصاحبتك »

قالت : « وماذا تعنى بذلك ؟ »

قال : « اعنى ان الناس لا يعلمون بما تم من أمر خطبتنا ، فلو انهم راونا نتنزه معا لأدى ذلك الى تقولهم علينا ، مما لا أرضاه لك »

فخجلت سلمى وادركت انه يشير الى بقاء خطبتهما فى طى الكتمان ، ثم نظرت اليه نظرة كلها حب وحنان ، وقد تضرجت وجنتاها خفرا وحياء واطرقت ولم تتكلم

فتبسم سليم ، وقد ازداد اعجابا بجمال سلمى وكمالها . ثم وجه خطابه الى والدتها قائلا : « أليس كذلك يا سيدتى ؟ »

فقالت : « انك معدن اللطف والكمال يا ولدى ، ولكن الناس اكثرهم لا يتورعون عن القال والقيل . ومن الحكمة الا نتيح لهم الفرصة لذلك . وكل آت قريب »

قال : « هذا هو اعتقادى ايضا ، ولكننى اود ان نذهب للتنزه جميعا فى مكان خارج المدينة بمعزل عن الرقباء وتكونين وحضرة العم معنا فنقضى يوما من الايام الجميلة »

قالت : « نحن لا نتأخر عن القيام بما فيه سرورك »

قال : « ان سرورى لا يتم الا بسروركم جميعا » . ثم حول نظره الى سلمى مستطلعا رايها فقالت : « أنت تعلم ما يسرنى ، فاتفقوا فيما بينكم على الموعد الذى يعجبكم وانا رهن مشيئتكم »

قال : « سنعين المكان والزمان فى فرصة اخرى »

ثم اخذوا فى احاديث مختلفة ، وفيما هم فى ذلك سمعوا رنين جرس الدار ، ثم دخل حبيب فقاموا جميعا للترحيب به ، فسلم عليهم وجلس يشاركهم الحديث ، ولما سألوه عن والدته وشقيقته قال : « هما فى خير وتهديانكم ازكى السلام ، وكان فى عزمهما الحضور الى القاهرة اليوم ، ثم آثرتا تأجيل ذلك الى يوم الجمعة المقبل ، لتقضيا معكم بعض الوقت ، ثم تتوجهان الى بيت الخواجه سعيد ، لاننا تواعدنا مع أسرته على زيارة الاهرام معا ، ويا حبذا لو شاركتمونا هذه الزيارة »

فقال سليم : « الحق انها زيارة ممتعة ، ولئن وافق عمى والاسرة على ذلك لنكونن جميعا من السعداء »

فاستحسن الجميع ذلك الراى ، وتم الاتفاق على الذهاب الى الاهرام صباح يوم الجمعة القادم ، ثم اخذوا فى احاديث اخرى

□

كان حبيب وحده من بين الحاضرين يعلم امر خطبة سلمى لصديقه سليم ، وقد كان فى قلق عليه منذ وقف على حقيقة حاله مصادفة على ضفة النيل . ولذلك سارع بعد خروجه من الديوان الى زيارته فى غرفته بالفندق ليرى ما تم له ، فلما لم يجده هناك وعلم انه ذهب الى بيت خطيبته ، لحق به اليه

وكان يتوقع ان يرى على وجه صديقه شيئا من علامات الاضطراب ، واعتزم ان يعزيه ويسعى فى تخفيف كربه ، ولكنه شاهده على غير ما كان يتوقع وكانه لم يكن فى شىء مما كان بالامس ، فعجب لتاثير المحبة فى قلوب المحبين ، وكيف انها مع ما يخالطها من الاكدار تكون اكبر تعزية لهم . وهكذا خف قلقه على صديقه ، ولكنه بقى معتزما مفاتحته فى الامر فى فرصة اخرى لعله يستطيع مساعدته بشىء

ولما حان وقت العشاء نهض حبيب مستاذنا فى الانصراف لكى يلحق القطار الذاهب الى حلوان بعد قليل ، فودعوه بمثل ما استقبلوه به من الاعزاز . وخرج من هناك الى المحطة راسا ، مؤجلا المرور ببيت الخواجة سعيد الى فرصة اخرى

اما سليم فبقى فى بيت خطيبته الى حوالى الساعة الحادية عشرة ، وكانت الساعات تمر مسرعة كالسحاب دون ان يشعر بها لفرط سروره بمجالسة خطيبته واستئناسه بحديثها واعجابه بكمالها ، فضلا عما كانت عليه من الجمال وخفة الروح . ثم ودعهم وخرج وقلبه يود البقاء ، ولم ينس قبل خروجه ان يضغط يدها وهو يصافحها مودعا ، فضغطت يده بدورها متمنية له السلامة فى الذهاب والاياب

ولم يكد سليم يخرج من البيت حتى عادت اليه هواجسه واخذ يفكر فيما هو فيه من الارتباك ، فانقبض وجهه وقلبه ، وما كاد يصل الى غرفته حتى وجد بطاقة زيارة متروكة له باسم داود سليمان ، فأخذه العجب لأنه لا يعرف احدا بهذا الاسم ، ثم دق جرسا امامه داعيا الخادم ، فلما جاءه سأله عمن اتى بتلك البطاقة ، فقال : « ان صاحبها اتى لمقابلتك ، فلما لم يجدك تركها على ان يعود صباح الغد »

وبعد ان صرف سليم الخادم ، جلس يكتب الى والدته خطابا يرد به على خطابها ، ولكنه كان مشتت الفكر لايدرى ماذا يكتب ، فكتب سطرين ثم مزق الورقة وعاد فكتب سطرين آخرين ولم يعرف كيف يعبر عن افكاره لشدة ارتباكه فمزق هذه الورقة ايضا واطرق مفكرا وقد اخذ منه الارتباك مأخذا عظيما . وبقى كذلك حينا غير قصير ، ثم نهض دون ان يكتب شيئا فبدل ثيابه وتمدد فى سريره محاولا النوم . لكنه بقى مسهدا يتقلب فى فراشه الى ان طلع الفجر فغادر الفراش وارتدى ثيابه ، ثم أخذ يشغل نفسه ببعض اوراق القضايا التى وكل فيها

وفيما هو فى ذلك طرق الخادم باب الغرفة ثم دخل وانباه بقدوم الزائر الذى ترك بطاقته بالامس فأمره بالمجىء به

ودخل عليه الزائر ، فاذا هو كهل طويل القامة ، افطس الانف ، ضيق العينين ، فى فمه اعوجاج ملحوظ واسنانه بارزة ، فرد تحيته بمثلها ورحب به

ولما استتب الجلوس بالزائر افتتح الحديث فى الشأن الذى جاء من اجله فقال : « لقد جئت امس لمقابلتكم فلم يسعدنى الحظ بذلك الا الآن »

فقال سليم : « اهلا وسهلا ، وانى ليسعدنى ان اكون فى خدمتك »

قال : « اشكرك يا سيدى على هذا الفضل الكبير ، ولكنى ارجو ان تجيب لى قبل ذلك طلبا بسيطا »

قال : « ما هو هذا الطلب ؟ » . قال : « تقسم لتحفظن ما اقوله لك سرا مكتوما عن كل بشر »

فتبسم سليم والتفت اليه قائلا : « ان فى طلبك هذا اهانة لى وطعنا فى كرامتى ، اذ لا يخفى عليك ان المحامين مكلفون حفظ الاسرار التى يقفون عليها بحكم مهنتهم كما يحفظ الكهنة سر الاعتراف ، فلا داعى لان تكلفنى مثل هذا القسم »

فقال داود : « معاذ الله ، انى لم ارد طعنا او اهانة ، وانا اعلم طهارة ذمتك ولولا ذلك ماجئت اليك مستشيرا ، ولكن الامر الذى جئت فيه يتعلق بالاعراض ، ولذلك طلبت اليك القسم زيادة فى الحرص على هذه الاعراض »

فقال سليم : « ان العادة لم تجر بمثل ذلك قبل الآن ، ولكننى اكراما لخاطرك ولمن اشرت اليهم ، اقسم لك بالذمة والشرف لاكتمن كل ما تقوله لى الآن »

فشكره داود على ذلك وقرب كرسيه منه ثم اخذ يقص عليه قصته

قال داود : « انى من اصحاب الاملاك الزراعية فى مديرية الغربية ، ولكن اقامتى بالقاهرة فى شارع شبرا قرب منزل الخواجة سليمان »

فلما سمع سليم ذلك خفق قلبه لان الخواجة سليمان هو والد حبيبته سلمى ، فاصغى الى داود بكل جوارحه ، وواصل هذا كلامه فقال : « وكنت منذ اربع سنوات اتردد الى بيت جارى المشار اليه ونتبادل الزيارات فيما بيننا كعادة الجيران فى بلادنا ، وكان له ابنة اسمها سلمى . . »

فاشتد خفقان قلب سليم ، وازداد اشتياقا الى استطلاع الحكاية فانصت لسماع تتمة الحديث ، ومضى داود فقال : « وقد آنست فى تلك الفتاة لطفا وتهذيبا قل مثالهما كما رايت منها ميلا الى ، وكنت استانس بها كثيرا حتى علقتها ومال قلبى اليها »

وهنا كاد قلب سليم ان يقفز من بين ضلوعه ، وشبت نار الغيرة فيه ، لكنه امسك عن اظهار عواطفه ليقف على نهاية القصة

فقال داود : « فلما رايتها تحبنى وتظهر لى الميل الشديد تلميحا وتصريحا ، ورايت اباها يلاطفنى ويكثر من دعوتى الى زيارتهم ، لاح لى ان اخطبها منه ، وبقى هذا الأمر يتردد فى فكرى زمنا طويلا خوفا من ان يكون فى الأمر دسيسة او خديعة ، ولكن الحب اعمى بصيرتى فصممت على خطبتها منه وفاتحته فى الأمر ، فرايت منه ميلا شديدا الى ، وقال لى : (ان سلمى تكن لك اضعاف هذا الميل) . فازددت تعلقا بالفتاة وصرت اكثر من التردد الى البيت ، وكنت احيانا اخلو الى الفتاة ونظل الساعة والساعتين نتبادل عواطف الحب ، ولم اكن ارى منها الا حبا وهياما وطالما صرحت لى بانها لم يعلق قلبها بسواى الى غير ذلك من عبارات المحبة »

فلم يتمالك سليم عند ذلك عن الانتفاض من شدة التأثر ، وعلا وجهه الإحمرار واحس كأن نارا تتقد فى جسمه غيرة وحنقا ، لكنه تجلد حتى يسمع بقية الحديث ، مكتفيا باظهار عنايته بتتبعه

فقال داود : « ولا اكتمك انى وصلت فى حب هذه الفتاة الى درجة ان صورتها لم تكن تفارق ناظرى ليلا ولا نهارا ، وظننت نفسى قد بلغت نهاية السعادة بالحصول عليها . على انى لم اخطبها رسميا لان اباها العجوز سامحه الله قال لى : (ان الخطبة لا بأس من تأخيرها) . ثم طلب منى بعض المال على سبيل القرض ، لاحتياجه اليه فى دعوى مقامة عليه ، لا اعلم ما هى وربما كانت مثل الدعوى التى ارجو ان استطيع رفعها ضده بمساعدتك . فنقدته مائة جنيه ، ونظرا الى ثقتى به لم اكلفه كتابة صك بها ، وقد كنت احسبه اشرف رجل على وجه هذه البسيطة كما كنت احسب ابنته اطهر فتاة رأتها عينى . ولكنى اضطررت بعد ذلك الى العدول عن خطبة الفتاة لسبب اخجل ان اذكره »

فاشتعل قلب سليم غيرة وحنقا ، ولم يتمالك عن النهوض عن الكرسى بغتة لشدة الانفعال ، لكنه عاد الى عقله وخاف الفضيحة فتظاهر بأنه يبحث عن علبة سجايره ثم تناولها ودفع الى داود

سيجارة منها ، واشعل لنفسه اخرى وجلس لسماع الحديث وهو يجاهد نفسه لاخفاء عواطفه

ولم تخف حالته على داود ، لـكنه تجاهل وواصل كلامه فقال : « نعم ، انني اخجل من ذكر سبب عدولي عن خطبة الفتاة ، ولاسيما ان الامر يمس العرض »

فقال سليم : « لا داعي للخجل ، وقد اقسمت لاكتمن السر »

فتردد قليلا ، ثم قال : « ماذا اقول ؟ يكفي اني دخلت يوما منزل الخواجة سليمان هذا دون ان اقرع الجرس ، فلما دخلت غرفة الفتاة وجدتها جالسة بجانب شاب كنت اعده صديقا للأسرة في هيئة مريبة »

وهنا يعجز القلم عن شرح حالة سليم عند سماعه ذلك الاتهام الموجه الى حبيبته التي يعتقد فيها العفاف والطهر ، فلم يستطع امساك عبراته ، وغادر الغرفة متظاهرا بانه يريد حاجة خارجهـا ، ثم عاد بعد أن مسح دموعه فجلس على كرسيه ساكتا مصغيا ولكن قلبه يتقد غيرة وحنقا

وتجاهل داود ما لاحظه على سليم ، واخرج منديله فمسح به انفه وشاربيه وعاد الى اتمام حديثه فقال : « ولما رايتها مع الشاب المشار اليه في تلك الخلوة المريبة ، لم اتمالك عن الخروج حالا وقد اتقدت نار الغيرة في قلبي ، ورجعت من حيث اتيت وبقيت مدة لا ازور ذلك البيت ، على اني كنت افكر دائما في امر المائة جنيه التي اقترضها مني ابو الفتاة ، واخيرا لاح لي استشارة محام ماهر لرفع الدعوى على الرجل مطالبا اياه بأداء ذلك الدين ، ثم رأيت ان أطالب الرجل أولا ، فلما طالبته اخذ يماطلني ويعدني تارة بالدفع ، ويسألني تارة عن سبب عدولي عن خطبة الفتاة فالفق له بعض الاعذار . واخيرا كشفت له حقيقة ما وقفت عليه من امر ابنته فقال لي : (ان ذلك الشاب صديق الأسرة كما تعلم ، ولاشك في انه هو الذي غرر بالفتاة مستغلا بساطتها ، لـكنه لم ينل منها شيئا) . ولما يئس من اقناعي ، ورأى اني مصر على ارجاع مالي الذي اخذه ،

[illegible]ر انه اقترضه مني . فهل تظن اني اذا رفعت عليه دعوى استطيع [illegible]ها ؟ »

فقال سليم وقد امسك عواطفه : « لايخفى على فطنتك انالدعاوى المالية لاتقوم الا بالبينة ، فهـل عندك بينة او شـاهد يشهد بذلك ؟ »

فقال : « أني دفعت اليه المبلغ سرا دون ان يعلم احد بذلك ، ولكن الشاب الذي حدثتك الآن عن صلته بالفتاة ، علم بالأمر خلال [illegible]ردده الى المنزل ، على اني ما اظنه يقبل اثبات هذه الدعوى لانه [illegible]ان السبب الاكبر بل هو السبب الوحيد لما حصل ، وبناء عليه اقول انه ليس لدي بينة او شهود »

فاشتغل بال سليم بذلك الشاب واحب معرفة اسمه فقـال : « هل تعرف ذلك الشاب الذي اشرت اليه ؟ »

قال : « هو شاب لا اراه في القاهرة الآن الا يسيرا ، واسـمه حبيب ! »

فاضطرب سليم عند سماعه اسم صديقه بعد ان سمع ما قيل عنه وعن سلمى ، لـكنه تجاهل واجاب متظاهرا بانه غير مكترث قائلا : « اني اعرف هذا الشاب معرفة بسيطة ، واذا لم تستطع الحصول على شهادته لا اظنك تستفيد شيئا من رفع دعواك »

فقال داود : « اما شهادته فأنا واثق باني ان خاطبته في شانها فلن يقبل اداءها ، وربما ادعى انه لم يرني قط ولا عرف شيئا عني ، وعلى هذا ارى الاولى بي ان اترك عوضي على الله ، واكتفي باني تخلصت من الشرك الذي كان منصوبا لي ، واشكر الله اني عرفت حقيقة الفتاة قبل العقد عليها ، ولو كان ذلك بعد الاقتران بها لكانت المصيبة اعظم . والآن لا حاجة بي الى أن اذكرك بقسمك ، لـكي تكتم حديثنا هذا عن كل انسان كما وعدت وتعتبر اني لم اقابلك الآن ولا خاطبتك في شيء »

ثم نهض مودعا شاكرا لسليم حسن مشورته ، واراد ان ينقده اجر هذه المشورة فلم يقبل سليم . فخرج مكررا الشكر ، وترك سليما على مثل الجمر

وما كاد ينصرف حتى اغلق سليم باب الغرفة وجلس يناجي نفسه وقد اخذ منه الغيظ كل مأخذ فقال : « اهذه حقيقتك يا سلمى ؟ اين عفافك وانفتك ؟ بل اين تهذيبك وادبك ؟. افى يقظة انا ام فى حلم ؟. لا لا . لا اصدق ذلك عنك . ولـكن كيف اتهم الرجل بالافتراء ، وما الذى يحمله على الـكذب او الايقاع بيننا وهـو لا يعرف عنى شيئا ، وانما قاده الاتفاق الى ؟ وما اعجب هذا الاتفاق الذى كشف لى أمورا كنت عنها غافلا »

ثم سكت حائرا لا يدرى بم يفسر تلك الحـكاية ، واخيرا نهض بغتة وقد اتقدت الغيرة فى بدنه كالجمر وقال : « آه منك ايضا يا حبيب ، آه من قلب الانسان ما افسده ، اتحب سلمى وتحبك ، ثم تظهران لى بمظهر الاخلاص ؟ آه من هذا الزمان !.. الآن عرفت صـدق مقال والدتى ، وانها والله لاصدق منى مقالا واوسع اختبارا » . قال ذلك واخرج كتاب والدته من جيبه واخذ يقرؤه حتى وصل الى قولها فيه :

« لا تغتر يا ولدى بمظاهر البنات فانهن اقدر البشر على المداهنة والنفاق ، وقد يظهرن العفاف وهن بعيدات عنه ، ويبدين الاخلاص وهن اروغ من الثعلب . وفضلا عن ذلك فان الفتاة التى علقتهـا ليست ممن يليق بك الالتفات اليهن ، وقد سمعنا عنها ممن عرفوها هنا انها قد نصبت مثل هذه الشراك لسواك واخفقت سعيا وخابت آمالها ويكفيني التلميح عن التصريح »

فلما قرا هذه العبارة ، اخذ يلعن الساعة التى عرف فيهـا ذلك البيت ، لانه لم يعديعرف الراحة منذعرفه . وحدثته نفسه بأن يتخلى عن سلمى قبل عقد الخطبة ، ولـكن نار الحب ثارت فى قلبه كأنها تكذب ما بلغه فقال : « لا لا يا سلمى ، انت والله حبيبتى ومنتهى املى ، وقد وهبتك هذا القلب وملـكتك نفسى حتى استوليت على كل عواطفى ، ولم الق منك منذ عرفتك الا كل جميل ، فـلا انثنى عن حبك ولا اظن بك سوءا . ولـكن ما هذه الحـكاية التى سمعتها الآن ؟ اهى محض اختلاق ؟. كلا فقد علمت بها اتفاقا ، ولو كان بينى وبين راويها علاقة او معرفة لاتهمته بالافتراء والـكذب

وقلت انه واش يريد فصم ما بيننا من علائق المحبة . اتحبين حبيبا كل هذه المحبة وتقولين انك تحبينه من اجل صداقته لى ؟ يا لك وله ! ولـكن ... ولـكن حبيبا صديقى وقد عرفته منذ نعومة اظفاره ولم ار فيه الا اخلاصا وغيرة ولـكن .. .. ولـكن النفس امارة بالسوء وعين الحب عمياء ، فلا بد لى من التجلد والصبر ، ثم ملاحظتكما ومراقبة خطواتكما وحركاتكما ، فاذا تحقق لدى ما سمعته الآن ... آه آه من الحب ما أمره وما احلاه ! لا لا بل هو مر علقم وقد صدق من قال : (ان سوء الظن من حسن الفطن) . فلو انى لم افتح قلبى لك واضع ثقتى فيك ما عميت عن حقيقة حالك وحال ذلك الشاب الذى خدعنى بصداقته سنين . ولكن مهلا سوف تريان وارى ، وكل آت قريب »

ثم نهض وهو فى اشد الانفعال ، وخرج لا يلوى على شيء . وفيما هو فى الطريق نظر الى ساعته فاذا الساعة الحادية عشرة ، ففطن لميعاد المرافعة فى مجلس الاستئناف . وكان عليه أن يذهب للمرافعة فى دعوى وكل فيها عن بعض الناس ، ولـكنه راى انه لا يستطيع ذلك وهو فى مثل ذلك الانفعال ، فسار وهو لا يدرى الى اين يذهب ، فقاده الاتفاق الى حديقة الازبكية فدخلها وجلس على مقعد بازاء البركة . وكانت الحديقة فى ذلك الحين هادئة لخلوها من الناس ، فأخذ يجول بأفكاره فيما سمعه فى صباح ذلك اليوم وهو يكاد الا يصدق انه سمعه فى اليقظة لغرابته وبعده من اعتقاده السابق

ولبث فى حيرة تتقاذفه الهواجس وتتلاعب به الظنون ، وهو تارة ينقم على سلمى وسوء طويتها ، وطورا يكذب ما سمعه عنها ويجلها عن مثل تلك الدناءة

خلوة مريبة

عاد حبيب الى حلوان وهو يفكر فى الخطاب الذى تسلمه ويردد فى ذاكرته سوابق زياراته بيت الخواجه سعيد وما كان يلحظه فى ادما من الحركات والاشارات حتى كادت تنجلى له الحقيقة ، وترجح لديه أنها هى التى بعثت اليه بذلك الخطاب ، فاعتزم ان يستطلع ذلك ويتحققه يوم ذهابهم جميعا للتنزه فى منطقة الاهرام

وامضى حبيب ليلته يفكر فى ذلك ، دون ان يزور الكرى عينيه . وكانت نفسه تحدثه بأن يتعجل استطلاع الامر فيذهب فى الغد الى بيت الخواجة سليمان ، فى موعد لا يكون فيه سليم ولا احد غير سلمى هناك ـ وكان لكثرة تردده الى ذلك البيت ، ولما بينه وبين الاسرة من علائق المودة الخالصة لايستنكف أن يزوره فى اية ساعة ـ وهناك يجاذب سلمى اطراف الحديث على انفراد ، لعله يعلم منها شيئا عن ادما يحقق ظنه

وفى صباح اليوم التالى بكر بالخروج الى مقر عمله على عادته ، وبقى هناك حتى الساعة الحادية عشرة ، ثم توجه الى منزل الخواجة سليمان ، فلم يجد فيه غير سلمى ووالدتها ، فرحبا به ، واستغربا مجيئه فى تلك الساعة ، غير ان اللياقة لم تسمح لهما باظهار ذلك الاستغراب ، ثم جلسوا جميعا فى قاعة الاستقبال وسلمى وامها بثياب المنزل ، دون أن تستنكفا ذلك ، لما بين حبيب والاسرة من صداقة ترفع التكليف

وشعر حبيب عقب جلوسه باستغرابهما مجيئه فى تلك الساعة ، فأفهمهما انه ذهب لمقابلة الخواجة سعيد للتفاهم معه على خطة الذهاب الى الاهرام واعداد ما يحتاجون اليه فى تلك الرحلة ، فلما لم يجده فى منزله ، راى ان يزورهم لذلك السبب نفسه ، فاقتنعتا بذلك ، واخذ ثلاثتهم يتداولون فى أمر الرحلة

وبعد قليل تركتهما والدة سلمى معتذرة بأن الطعام على النار وانها لا تثق بالطباخ فى اصلاحه ، فقبل حبيب عذرها وقد سر جدا منه . وما كادت تنصرف حتى عاد الى الحديث مع سلمى فى شأن زيارة الاهرام ، ثم تطرق من ذلك الى حديث ادما فقال : « انى انتظر صباح الغد بفروغ صبر حتى نذهب فى موعدنا هذا ، وذلك لانى احب الذهاب الى تلك الجهة لجودة هوائها وحسن موقعها ، ومما يضاعف سرورى ان شقيقتى شفيقة اكثر منى تشوقا لهذه الرحلة ، ولا سيما بعد ان علمت بأنكم ذاهبون معنا ايضا ، وكذلك اسرة الخواجة سعيد ، وهى لم تر الآنسة ادما منذ وقت طويل »

فقالت سلمى : « ان الآنسة شفيقة خليقة بكل محبة واجلال ، ونحن جميعا نحبها ونجلها للطفها وتعقلها . ولكن لاشك فى ان الآنسة ادما اكثرنا انعطافا نحوها ، وهى لا تفتر عن ذكرها وامتداحها »

فقال : « لقد لاحظت مثل هذا الانعطاف من شقيقتى نحو الآنسة ادما ، وكثيرا ما ذكرتها بالمدح والثناء والإعجاب بحسن خصالها »

فقالت : « الحق ان الآنسة ادما من احسن البنات تهذبا وادبا ولطفا ، كما أنها على جانب عظيم من العلم والمعرفة »

فقال حبيب وقد خفق قلبه وعلا وجهه الاحمرار : « واين تعلمت كل »

قالت : « تعلمته فى مدارس بيروت ، كما تعلمت فن التصوير واتقنت الخط »

فقال : « اتقنت الخط ؟. هذا عجيب لان الفتيات قلما يتقن الخط لقلة استعمالهن الكتابة ! »

قالت : « الواقع أن خط الآنسة ادما جميل جدا ، واذا شئت فانى اطلعك على خطها فى رسالة بعثت بها الى منذ بضع سنين »

قال وقد استبشر بالفوز : « لا اريد ان اثقل عليك ، بتكليفك البحث عن هذه الرسالة الآن »

فنهضت قائلة : « لا ثقلة على فى ذلك » . ثم مضت الى غرفتها وجاءته بتلك الرسالة وجلست بجانبه لتريه جمال خط ادما ، ثم قالت له وهى تضحك : « اخشى أن تسخر من العبارات التى تضمنها الخطاب ، ولـكننا كنا مازلنا اطفالا حينذاك »

فقال : « العفو يا آنسة »

وفيما هما فى ذلك فوجئا بدخول سليم عليهما ، فبغتا وبدا الخجل على وجهيهما ، مع انهما لم يكونا فى حالة توجب الخجل ولكنهما لم يكونا ينتظران مجيئه فى تلك الساعة

وكان سليم قد مل الجلوس فى الحديقة فحدثته نفسه بأن يزور خطيبته فى تلك الساعة على غير المعتاد لعله يستطلع شيئا مما سمعه عنها ، ودخل البيت دون أن يقرع الجرس فاتفق وصوله الى قاعة الجلوس فى اللحظة التى كانت سلمى فيها جالسة بجانب حبيب تريه خط ادما فى رسالتها اليها ، فرآهما ووجهاهما متقاربان ، وهما ينظران فى ورقة امامهما ويضحكان ، فلما راى بغتتهما ، تحقق صحة ما سمعه عن علاقتهما من داود ، ولا سيما ان زيارة حبيب للمنزل كانت فى وقت غير عادى ، وان سلمى كانت بثياب البيت

ولا حاجة بنا الى شرح عواطفه عند مشاهدته سلمى وحبيبا فى تلك الحال ، فازداد وجهه انقباضا وحدثته نفسه بأن يوبخهما ولـكنه أمسك وتجلد ، اما خجلا واما تعقلا ، لـكنه لم يستطع اخفاء عواطفه

أما سلمى فانها لبراءتها لم يخامرها شك فى اعتقاد حبيبها ، فلما دخل الغرفة خفت لاستقباله مسلمة ومدت يدها اليه مصافحة ، فلما لمست يده شعرت بارتعاشها وبأنها باردة كالثلج ، ثم اخفت الرسالة خوفا من رغبته فى استطلاع سبب وجودها معها وذلك ربما يغضب حبيبا

واما حبيب فحيى صديقه ببشاشة ، لـكنه لم يلق منه الا اعراضا

ثم جلس الجميع وسليم مقطب الوجه ممتقع اللون ، فادركت سلمى ان اخفاء الرسالة ربما أوجب سوء ظن سليم ، فأخرجتها من جيبها ووجهت كلامها اليه وقالت ضاحكة :

« انى ليضحكنى تذكر ايام المدرسة يوم كنا نكتب مثل هـذا الخطاب الذى كنت اطلع الخواجة حبيب عليه الآن ، وهو من صديقتى الانسة ادما كتبته الى منذ بضع سنين يوم كانت فى المدرسة فى بيروت ، وكنا نتحدث عن جمال خطها فلم يصدق انه جميل فأخرجته لاطلعه عليه »

ثم دفعت الخطاب الى سليم لـكى يراه فمد يده وتناوله ، ولم يكد ينظر اليه حتى اعاده اليها ببرود وهو يتكلف الابتسام

فخجلت سلمى لهذه المعاملة المهينة ، لـكنها كظمت عواطفها وسألت سليما عن سبب اضطرابه فقـال : « انى متكدر من بعض الامور الشخصية المتعلقة بالعمل »

فقالت : « أرجو الا يكون فى ذلك ضرر عليك يا عزيزى »

فأجابها وهو ينظر الى نافذة القاعة قائلا : « لا ضرر هنـاك ان شاء الله »

قال ذلك وهو يتردد بين عوامل الغيرة والـكظم ، فيهم بأن يظهر غضبه ثم يمسكه التعقل خشية سوء العاقبة

فقال له حبيب وقد جاء بكرسيه الى جانبه : « لا اراك الله مكروها يا عزيزى ، مالك منقبض النفس ؟ الا فرجت عنك وتركت المقادير تجرى فى اعنتها ؟ » . وقد اراد بذلك أن يخفف عنه ، ظنا منه أن انقباضه بسبب الخطاب الذى ورد اليه من والدته

فأراد سليم ان يجيبه منتهرا ويوبخه ، ثم تذكر ما بينهما من الصداقة القديمة وما للفتاة فى قلبه من المحبة ، وما يتجلى فى وجهها من دلائل الوقار والهيبة والتعقل ، فغلبت عليه طيبة قلبه ، واجاب حبيبا قائلا : « انى متكدر من أمر عرضى يتعلق بمهنتى ، وليس فيه ما يوجب الخوف او اليأس » . غير ان لهجته رغم ما حاوله من اللطف كانت تنم عما يعتمل فى صدره

فرأت سلمى ان عليها ان تعزى حبيبها وتواسيه ، فدنت منه وامسكت يده بيد كادت تذوب لطفا ، ونظرت اليه بعينيها الجميلتين مبتسمة وقالت : « روحى فداك يا عزيزى ، لايغضبك أمر ولا تجعل للكدر بابا للتمكن منك فانك تعلم أن الاعمال فى هذه الدنيا تحتاج الى التبصر والصبر ، فلا تستعجل النجاح فلكل شىء وقته ، ولا يخفى عليك أن الكدر يضعف الجسم »

فوقعت هذه الكلمات فى أذن سليم موقعا حسنا ، وشعر بأنها القت عن صدره حملا ثقيلا من القلق والغيرة ، وكان يحتاج وهو فى تلك الحال من التردد الى مثل هذه العبارة التى ساعدته فى تخفيف غيظه وحملته على الصبر والتأنى فى حكمه على حبيبته وصديقه . ولما امسكت يده شعر بمجرى كهربائى بارد تخلل اعضاءه فأخمد جانبا كبيرا مما كان متقدا فيها من نيران الانتقام والغيظ ، فغلبت عليه الحكمة واعتزم اخفاء ما به والتربص ريثما يتحقق الأمر مرة ثانية وثالثة ، لان ما علمه حتى ذلك الوقت لم يكن كافيا لاصدار حكمه بادانتهما ، كما ان العواطف سريعة الحكم لا تصبر على العقل ريثما يتروى فتحمله على الانتقام من البرىء لسرعة حكمها

فنظر اليها مظهرا البشاشة وقال : « مهما اكن مثقلا بالهموم فانى انساها عند مشاهدتك ومشاهدة عزيزى حبيب ، ولكنى كما قلت له مرة اذا تكدرت من أمر يصعب على نسيانه حالا ، فأتقدم اليكما أن تسبلا ذيل المعذرة على ما ظهر لكما منى الآن فان ذلك عن غير قصد منى وسببه ما ذكرت »

فقال حبيب : « فليبتهج قلبك يا عزيزى ولا تحزن ، اننا الآن نستعد للمسير الى الاهرام غدا ، وقد جئت الآن لهذه الغاية لكى نتفق على ميعاد نسير فيه معا . وتم الاتفاق على أن نبدأ الرحلة فى الساعة السابعة صباحا . وسنعد ما نحتاج اليه من العربات ومعدات الطعام وما اليها ، خشية أن يهمل الخدم فى شىء من ذلك »

ثم جاءت والدة سلمى فسلمت على سليم واخذت ترحب به . وكانت قد سمعتهم يتحدثون عن رحلة الاهرام واهمال الخدم فقالت :

« قبح الله الخدم فانهم لا يمكن الاتكال عليهم فى أمر البيت ، ولابد لربته من المساعدة فى جميع شئونه »

فقالت سلمى : « الحق معك يا والدتى ، ولكن خادمتنا سعيدة ماهرة ، ولعل من الخير اصطحابها معنا فى الرحلة »

فقالت : « لا بأس من اخذها معنا »

وفيما هم فى الحديث جاء الخواجة سليمان ، فجلسوا جميعا يتحادثون ، ثم اراد حبيب وسليم الانصراف فدعوهم الى البقاء لتناول الغداء . ثم وضعت المائدة وتناولوا الغداء معا وسليم لا يزال فى شاغل داخلى بما تم له فى ذلك اليوم ، وقد عول على مراقبة حركات سلمى

وبعد الغداء وشرب القهوة استأذن حبيب وسليم وخرجا ، فمضى كل منهما فى سبيله وهو فى شاغل عظيم

وكان حبيب قد رأى بين خط الكتاب الذى تسلمه وخط ادما مشابهة كبيرة جدا بحيث كاد يجزم بأنها صاحبة الخطين ، لكنه صبر الى الغد حيث يتقابلان فى الاهرام ويستطلع امرها بنفسه . وما زال سائرا حتى وصل الى حلوان فأخبر والدته وشقيقته بموعد الذهاب الى رحلة الاهرام

واما سليم فسار الى غرفته ، ثم غادرها الى الحديقة حيث قضى فيها بقية النهار ، ثم عاد فى المساء الى غرفته فجلس مفكرا فيما سمعه عن سلمى وابيها من داود فى الصباح ، وعادت اليه هواجسه وانفعالاته ، واخذت تتقاذفه الاوهام ، ثم تذكر كتاب والدته فأراد اخراجه من جيبه لكنه امسك تجنبا لمضاعفة هواجسه . وبقى برهة يدخن ويفكر حتى غلبه التعب فذهب الى فراشه . وقبل ان يروح فى النوم تذكر انه لم يعرف مكان داود حتى يجتمع به مرة اخرى ويستوضحه بعض الامور ، فأسف على ذلك واعتزم أن يغتنم اول فرصة يراه فيها ويسأله عن عنوانه

فى منطقة الأهرام

بكر الجميع فى الصباح التالى الى منزل الخواجة سليمان ، ثم جاءوا باربع عربات ركبوها الى منطقة الاهرام وقد أعدوا كل ما يحتاجون اليه فى نزهتهم

وسارت بهم العربات حتى وصلوا الى الجزيرة وكلهم فرحون بذلك الاجتماع ولا سيما حبيب لانه كان ينتظر ذلك اليوم بفروغ صبر . اما سليم فكان فى العربة مع سلمى ووالديها وكل منهما يسترق النظر الى الآخر ويحاذر كشف سريرته

وكان ذلك النهار صافى الجو هادئا ، فمرت العربات فى طريق الاهرام المظللة بالاشجار تتناغى فوقها الاطيار ، وعلى كل من جانبى الطريق بساتين يانعة تكسوها الاعشاب الخضراء ، وتسرح فيها الماشية من البقر والجاموس يسوقها رعاة من الاحداث تكسو اجسادهم خرق بالية ولكنهم فرحون بما رزقهم الله من العيش السهل على ضفاف النيل الخصبة المرعى الرقيقة النسيم ، وليس فيهم الا من انعشته نسمات الصباح فأخذ يغنى كأنه يشارك الاطيار فى تغريدها . اما الماشية فكانت تسرح وتمرح فى مرعاها غافلة عن شواغل بنى الانسان

كانت العربات تحمل قلوبا تتقد حبا يخامره فى بعضها تردد ، وفى بعضها الآخر تحسر او ارتباك ، والآباء والامهات فى غفلة عما شب فى افئدة اولادهم من العواطف ، والطبيعة فوق كل ذلك تضحك من ضعف بنى الانسان وتستخف بما يستعظمونه لكثرة ما مر بها من الاجيال ، وما شهدت من الاهوال حتى تساوى لديها الكبير والصغير والحب والبغض

وما كادت العربات تدخل ذلك الطريق حتى لاحت لمن فيها اهرام الجيزة الكبرى من خلال الاشجار ، قائمة كأنها جبال راسيات . فاشتغلت بها افكارهم وطارت اليها قلوبهم وقد خيل لهم لعظمها انها منهم على أقرب من مرمى القوس ، فى حين ان بينهم وبينهما مسيرة ساعة او تزيد

واخيرا وقفت العربات بهم عند مرتفع تعلوه الاهرام الثلاثة كأنها جبال منتظمة الهندام ، فترجلوا جميعا ومشوا صعدا يطلبون الاهرام وعيونهم شاخصة اليها حتى شغلهم حينا من الزمان لم ينطق خلاله احدهم ببنت شفة . ولما دنوا منها اشرفوا على تمثال ابى الهول القابع على مقربة منها كأنه الحارس الامين

وهرع لاستقبالهم هناك كثير من التراجمة والادلاء فى ملابس اهل البادية ، وجعلوا يخاطبونهم بلسان أعجمى ارادوا به ان يكون اللغة الانجليزية ولكنه كان مزيجا منها ومن الفرنسية . وكان هؤلاء لكثرة تردد الافرنج الى الاهرام يحسبون كل زائر لتلك المنطقة افرنجيا ، وقد رجح لديهم هذا الظن لما راوا السيدات فى الزى الافرنجى . على انهم ما لبثوا قليلا حتى علموا ان هؤلاء القادمين ليسوا من الاجانب ، اذ سمعوهم يتكلمون باللغة العربية ، فتقدم شيخهم وسألهم قائلا : « هل لكم فى الصعود الى قمة الهرم الكبير ؟ »

وهنا اعرب سليم عن رغبته فى الصعود ، فأوقفه حبيب محذرا اياه قائلا : « انى لا آمن عليك هذا الصعود ، فان فى ذلك خطرا كبيرا ، وكم من اناس خسروا حياتهم لتجرئهم على صعود الهرم ، فزلت اقدامهم خلال ذلك »

فلما سمعت سلمى ذلك اقشعر جسمها خوفا على حبيبها ونظرت اليه وفى ملامح وجهها ما ينم عن خوفها على حياته ، فتأثر بتلك النظرة تأثرا شديدا ، ولكنه تذكر حديث داود عنها ، فانقبض قلبه وظهر ذلك على وجهه فحول نظره عنها مغضبا ، فدنت هى منه تاركة والديها يذهبان الى الجانب الآخر من الهرم ليتاملا ارتفاعه معهما الخواجة سعيد ، ثم التفتت وراءها فاذا بحبيب واقفا الى

جانب ادما واخته شفيقة يشرح لهما تاريخ بناء الهرم وهما شاخصتان اليه مشغولتان بما يقول ، فعلمت الا احد يسمعهما اذا تكلمت فقالت لسليم : « الا تخاف الصعود الى قمة هذا الهرم ، وهى على هذا الارتفاع الهائل ؟ » . قالت ذلك وهى ترنو اليه وتلاحظ حركاته

فقال : « لو كان ارتفاعه اضعاف ما هو عليه ، ما خفت الصعود الى قمته »

قالت : « ولكننى انا اخاف عليك »

قال : « وممّ تخافين ؟ »

قالت : « لا أريد أن تعرض حياتك للخطر »

فصمت ولم يبد جوابا ، وكأنه كان يريد التكلم ويمنعه التردد ، فعادت هى تقول : « لعلك لا تخاف على اذا حاولت الصعود وربما تزل قدمى فلا أصل الارض الا جثة بلا روح ؟ »

فلما سمع ذلك منها اقشعر بدنه ، وهاجت عاطفة الحب فى قلبه ، وتذكر ما كان بينهما من الاخلاص وغلبت عليه عواطفه فقال : « نعم اخاف عليك خوفا شديدا ، لا من الصعود الى قمة الهرم فقط ، بل اخاف عليك حتى من هذا النسيم اللطيف ، ومن عيون البشر فانها احد من السهام على قلبى ! »

فعجبت لعبارته الاخيرة اذ لم تر لها محلا ، ولاح لها انها تخفى وراءها شيئا يكنه فى ضميره ويود اخفاءه عليها ، فبهتت واخذت تفكر فى ذلك ثم قالت متجاهلة : « اذا كنت تخاف على الى هذا الحد فكيف لا تشعر بأنى اخاف عليك ايضا ؟ »

فازدادت فى قلبه عوامل الغيرة والحنق ، وضاق صدره بما يكتمه ، فأخذ ينكت الارض بعصاه متشاغلا ويداه ترتعشان ووجهه يزداد انقباضا

فابتدرته قائلة : « مالك لاتجيب عن سؤالى كأنى لا استحق جوابا ؟ » . قالت ذلك وهى ترنو اليه بعينيها كأنها تقول له : ما الذى تكتمه ؟ ولماذا الكتمان ؟

فنظر اليها شزرا واراد التكلم فشرق بدموعه ، فحول وجهه الى السهل الرملى المحيط بالهرم اخفاء لما به



وقالت سلمى لسليم : « ألا تخاف الصعود الى قمة هذا الهرم ؟ »

فلحظت منه ذلك وتساقطت العبرات على خديها وقد امتقع لون وجهها، ثم مسحت دموعها بمنديلها من حيث لا براها ، ولكنه التفت اليها بغتة وقد هم بأن يبوح لها بما فى قلبه . فلما راى الدموع تترقرق فى عينيها ، امسك . وبقى الاثنـان لا يتكلمان كأنهما أصيبا بجمود وكل منهما يفكر فى امر ويحاذر ان يطلع الآخر عليه وقد نسيا ما حولهما

وفيما هما فى ذلك اذا بمناد ينادى سلمى ، فبغتا والتفتا الى مصدر الصوت فاذا بادما تنادى سلمى قائلة : « تعالى يا عزيزتى سلمى واسمعى ما يقوله حبيب افندى »

فمسحت سلمى دموعها دون ان يشعر بها احد ، والتفتت الى صديقتها متظاهرة بخلو الذهن وقالت : « ماذا يقول يا عزيزتى ؟ »

وخطت نحوها وهى ما زالت تمسح عينيها بمنديلها متظاهرة بأن بعض الغبار تطاير اليهما حتى دمعتا ، فانطلت حيلتها على ادما وقالت لها حين اقتربت منها : « يقول حبيب افندى : ان هـذه الاهرام قد بنتها الاسرة الرابعة من ملوك الفراعنة منذ حوالى خمسة آلاف سنة »

فقالت سلمى : « قد كنا الآن فى مثل هذا الحديث وقال لى سليم : أن ١٢ الفا من الناس عملوا فى بنائها » . ثم نادت سليما وقالت له : « أليس كذلك ؟ »

وكان قد مسح عينيه واخفى عواطفه ، لـكنه كان يود لو انه بقى مع سلمى على انفراد حتى يبوح لها بما فى فؤاده من الشك ، فلما سمعها تناديه تقدم نحوها مضطرا واجاب بقوله : « لا تعجبوا لما يقال لـكم عن قدم هذه الاهرام ، فان أبا الهول الذى تشاهدون قفاه من هنا اقدم منهـا كثيرا ، وهو من صنع الاسرة الثالثـة الفرعونية »

فتعجبت ادما من ذلك وقالت : « كنت اسمع أن فى هذه الناحية مكانا قديما اسمه الـكنيسـة فأين هو ؟ . انى اود ان اراه »

فقال حبيب : « هو الى جانب ابى الهول »

قالت : « هل هو كنيسة حقيقية ؟ »

قال : « لا ، ولـكنه هيكل من هياكل المصريين القدماء وانما سمى كنيسة لأنه يشبه الـكنائس من حيث كبره واتساعه »

ثم اظهرت ميلا شديدا لمشاهدة ابى الهول والكنيسـة ، فقال لها حبيب : « الا تتمهلين ريثما نشاهد هذا الهرم أولا ونستريح قليلا ثم نمضى الى الكنيسة لمشاهدتها ؟ »

قالت : « اود مشاهدتها الآن ، واخشى ان يشتد الحر بعد قليل فلا استطيع الذهاب اليها الا بمشقة »

فاقترح حبيب أن يسيروا جميعا الى هناك ، وبدا انهم موافقون على ذلك ، لـكن سلمى قالت : « انى اعرف ذلك المكان وقد شاهدته مرة قبل هذه برفقة والدى » . وقد ارادت بذلك أن تعود الى الاختلاء بسليم ليتما الحديث لانها قلقت لما شاهدت منه

فالتفت حبيب الى شقيقته شفيقة وقال لها : « هيا بنا يا شفيقة الى الكنيسة مع الآنسة ادما »

وكان يود لو أن شقيقته لاترافقهما لـكى يخلو الى ادما ويستطلع مافى قلبها ، لـكنه تذكر أن شقيقته ساذجة وأنه يستطيع التفاهم مع ادما بالرموز والاحاجى دون أن تفطن هى الى ذلك ، ثم مضى معهما حتى أطلوا على ابى الهول من الخلف فاذا هو تمثال هائل يشبه اسدا رابضا ورأسه رأس انسان ، فداروا حوله حتى وقفوا امام وجهه ، فجعلت ادما وشفيقة تنظران اليه وتتعجبان لـكبره وهوله ، وقالت شفيقة لحبيب : « اخبرنى يا أخى عن سر هـذا المثال الـكبير ، ولماذا جعلوا جسمه جسم اسد ورأسه رأس انسان ؟ »

فقال : « جعلوه كذلك اشارة الى اجتماع القوة والعقل ، لأن الاسد مثال القوة ، والانسان مثال العقل »

فقالت ادما : « ولـكن كيف عرف المعاصرون ان القوم جعلوه كذلك لهذه الغاية ؟ »

فنظر اليها حبيب وقد اعتزم ان يستطلع خفايا قلبها وقال : « انهم عرفوا ذلك بقراءة ما كتب عليه . هذا الى أن الانسان المتبصر لا يخفى عليه ان الطبيعة كلها رموز وان لـكل رمز معنى . والرجل

العاقل يستطيع ان يعرف الغايات بالنظر الى المقدمات . ام انت تتصورين آن الانسان العاقل يخفي عليه مثل هذا ؟ »

قال ذلك ونظر الى وجهها فاذا هى ترنو اليه منتظرة اتمام حديثه وقد كاد الخجل يتجلى فى وجهها عند سماعها قوله ، لكنها تمالكت عواطفها ، وواصل هو كلامه فقال : « ثم هبىّ ان الانسان لم يتمكن من فك رموز الطبيعة بوساطة النظر اليها ، فان الكتابة لم تدع سرا مسدولا ولا امرا مكتوما »

قال هذا ونظر اليها بطرف عينه فاذا بها قد توردت وجنتاها خجلا واطرقت متظاهرة بالتأمل فيما يقول

فنظر اليها وقال : « ما رايك يا آنسة ادما ؟ اليس صحيحا ما اقوله ؟ »

فأجابت وقد أبرقت عيناها قائلة : « ماذا اقول ؟ ليس لى الا ان أوافق على ما ذكرته من أمر الكتابة وما تدل عليه »

فأعجبته فطنتها وفهم من ردها انها التى كتبت اليه ذلك الخطاب ، ثم وجه خطابه الى شقيقته قائلا : « اليس كذلك يا شفيقة ؟ »

فأجابت شفيقة ببساطة قائلة : « ان هذا التمثال مدهش حقا »

فأدركت ادما انه اراد لفت نظرها الى بساطة شقيقته ، حتى لا تتهيب وجودها معهما وتمضى فى الحديث معه ، فنظرت اليه مبتسمة وقد أسرع خفقان قلبها كأنها تقول له : « قد فهمت مرادك »

ثم تحولوا عن التمثال وانحدروا درجات قليلة الى الكنيسة ، فاذا هى بناء خرب ، لكن بقاياه تدل على عظمه ، واكثره مبنى بأحجار الجرانيت الكبيرة . فلما وصلوا الى باب الهيكل قالت له ادما : « ان هذا الهيكل متقن الصنعة من الخارج ، فهل ترى هو كذلك من الداخل ؟ »

فأدرك مرادها واجابها وقد هاجت عواطفه قائلا : « ان داخله اكثر اتقانا واشراقا من خارجه ، فان الناظر اليه من الخارج يظنه خربا ولكن لو دخلت اليه ونظرت الى داخله لرايت ما يسرك وربما تفضلين البقاء فيه »

فقالت وقلبها يزداد خفقانا : « هل يدخله اناس كثيرون ؟ »

قال : « أؤكد لك انه لم يدخله أحد سواك قط ولن يدخله ابدا »

قال ذلك مشيرا الى قلبه ، ولكن شقيقته لم تفطن الى ذلك وحسبته يتحدث عن الهيكل فقالت : « كيف تقول انه لم يدخله احد قبلها ولا بعدها ؟ لعله كان مغلقا ، وسيغلق ثانية بعد ان ندخله الآن ؟ »

فاستدرك قائلا : « انا اقصد زيارته فى هذا اليوم فقط ، لاننا اتينا الى هنا مبكرين فلم يأت احد قبلنا لزيارته ، واكبر الظن الا يأتى احد بعدنا ، اما والدانا فانهم دخلوه قبلا ولا يدخلونه اليوم وكذلك الخواجه سليم والآنسة سلمى » . فاقتنعت شفيقة وسكتت، واستأنف هو وادما حديثهما وقد تحقق كل منهما ما عند الآخر من العواطف المتبادلة . وكانت ادما اكثر من حبيب سرورا لأنها احبته قبلما احبها ، وكانت تخشى ان ترى منه صدودا أو اعراضا . والواقع انه كان يرتاح لمجالستها ويلتذ بحديثها لكنه لم يكن يفكر فى الاقتران بها ، ولا يشعر بشدة خفقان قلبها كلما جاء لزيارة ابيها ، ولا بأن الحب تمكن من قلبها ، وصار يزداد تمكنا يوما بعد يوم ، اذ كانت لتعقلها وحسن بصرها بالعواقب تخفى ذلك جهدها ، وتنتظر ان يبدأ هو باظهار المحبة جريا على الغالب فى مثل تلك الحال ، فلما طال بها الانتظار ، لم تعد تستطيع صبرا على هذا الكتمان ، ولم تجد سبيلا افضل من كتابة ذلك الخطاب وارساله اليه دون توقيع ، حتى اذا فازت بمرادها وتحققت امانيها لم تعد تخشى التصريح له بما فى قلبها ، ولكنها لم تستطع ذلك لوجود شفيقة معهما فاكتفت بالتلميح

وكذلك كان شأنه ايضا ، فانه لما تحقق ظنه وايقن بأنها صاحبة الخطاب وبأنها تحبه الى هذا الحد ، مال الى مكاشفتها ايضا ، ولكنه اكتفى بأن اوضح لها بالرموز ان قلبه مكرس لأجلها وانه لن ينظر الى سواها ، واعتبر نفسه بذلك قد ارتبط معها بعهود وثيقة ، واحس انها اصبحت منذ تلك اللحظة خطيبة له

وحالما تصور ذلك شعر بانقباض داخلى لم يعرف له سببا ، ولكنه كان يلمح في ذلك الانقباض ظلام من الندم ، اذ تذكر حال صديقه سليم وما آل اليه تعجله فى خطبة سلمى من غضب والدته

لـكنه عاد فقال لنفسه : « ان ادما تليق بى ، ولا اظن انى اوفق الى احسن منها ولا سيما ان والدتى وشقيقتى يحبانها كثيرا »

ثم خرجا من الهيكل صامتين وقلباهما يتكلمان ، وشفيقة بينهما مشغولة بالنظر الى ما حولها من الآثار العظيمة . وما لبثوا قليلا حتى وصلوا الى الاهرام حيث كان بقية افراد الرحلة ينتظرون هناك

▭

سر سليم وسلمى لبقائهما معا على انفراد ، بعد ذهاب حبيب وشقيقته وادما لمشاهدة الهيكل . وكانت سلمى اكثر سرورا بذلك لقلقها مما لاحظته على سليم من مظاهر الانقباض ، وتشوقها الى استطلاع سبب ذلك

اما هو فكان لشدة تأثره يود نسيان ما يخالج ضميره من الشك فى اخلاصها . ومع شدة رغبته فى استطلاع حقيقة ما بلغه عنها كان كثير الميل لتكذيب ذلك واجلالها عنه ، مدفوعا بما تمكن فى فـؤاده من حبها واحترامها . على ان الغيرة كانت تدفعه الى تحقق الامر بنفسه . فلما خلا اليها نظر اليها نظرة تشف عما يتردد فى قلبـه ويتجاذبه من عوامل الحب والغيرة ، فاجابته بنظرة تتخللها عواطف تتقد محبة رغم ما يسودها من القلق والاضطراب

واخيرا قال لها : « الى اين ذهب حبيب وزميلتاه ؟ »

قالت : « ذهبوا الى ابى الهول »

فقال : « وكيف استطاع الذهاب الآن ؟ » . فلم تفهم مراده وقالت : « وماذا يمنعه من الذهاب ؟ »

فأطرق ساكتا مترددا بين التصريح والـكتمان ، وداخلها الريب فى سكوته ، فعادت تسأله : « هل هناك ما كان يمنع ذهابه الآن ؟ »

فازداد ما عنده من الحيرة والتردد ، وقال : « لا ادرى » . فقالت : « ومن يدرى اذن ؟ »

ونظرت الى عينيه كأنما تبحث فيهما عما فى ضميره ، فلم يسعه الا ان تنهد وقال : « انت التى تعلمين »

فبغتت وسكتت قليلا تفكر فيما ينطوى تحت هذه الكلمة ، ثم قالت : « ماذا تعنى ؟ »

قال : « لا اعنى شيئا تجهلينه »

فازدادت قلقا واضطرابا ، وعلا وجهها الاحمرار ثم قالت : « اراك تخاطبنى بالاحاجى والمعميات ، افصح عن مرادك »

قال : « هل يخفى عليك فهم ما اريد الى هذا الحد يا سلمى ؟ »

قالت : « لم افهم شيئا ، ولا اعلم ما يمنع حبيبا من الذهاب مع ادما وشقيقته لمشاهدة الهيكل . ام تقصد ان ادما غريبة عنـه ؟ ولـكنه حتى لو لم تكن شقيقته معهما شاب مهذب عاقل كمـا تعلم ، فليس هناك ما يوجب المظنة »

فحمى غضب سليم حين سمع امتداحها حبيبا ، واتقدت فى قلبه نار الغيرة وقال : « صدقت انه شاب مهذب وليس هناك ما يوجب اية مظنة »

فازداد تعجبها وسكتت برهة تردد عبارته فى ذهنها لعلها تجد لها معنى ، فلما اعياها ذلك قالت له : « ماذا تريد يا سليم ؟ اننى استحلفك بحياة المحبة الطاهرة التى بيننا ان تفصح عن مرادك فقد نفد صبرى »

فرنا اليها بعينين تتقد فيهما نيران الغيرة رغم محاولته اخفاءها وقال : « بالله عليك لا تذكرى المحبة الطاهرة ، فهى شيء كان فيما مضى فقط »

فازداد خفقان قلبها وامتقع لونها ، ونظرت اليه وقد نفد صبرها فشرقت بدموعها حين ارادت التكلم ، ولم يسعها الا ان تسكت آخذة فى البكاء

فابتدرها بالـكلام وقد كادت دموعها تطفىء نار غضبه قائلا :
« كفى الآن يا سلمى ، انى لا اعى ما اقول ، ولا استطيع ان أصرح بأكثر من ذلك ، وعليك انت ان تفهمى ما اعنيه »

فهمت بالتكلم ، ومدت يدها اليه وهى ترتجف فامسكت يده ونظرت اليه باكية ، ولـكنه سرعان ما جذب يده من يدها نافرا ، وابتدرها بالـكلام قائلا : « لماذا تمدين يدك الى ؟ الا تخافين رفضها ؟ »

قالت وقد علا بكاؤها : « ما هذا يا سليم ؟ لماذا تخاطبنى بمثل هذا الـكلام ؟ ما الذى جرى لك وماذا تضمر ؟ انى استحلفك بالمحبة ان تخبرنى بحقيقة مرادك »

فقال وقد اشتد غضبه : « اية محبة تعنين ؟ .. دعى ذكر المحبة فقد كفى ما لحق بها »

فلم تتمالك عواطفها ، وشعرت بتخاذل قواها ، فجلست على حجر هناك ، وجعلت راسها بين يديها واخذت فى البكاء والشهيق حتى كاد يغمى عليها

فنزلت تلك العبرات على قلب سليم بردا وسلاما ، واخمدت ما كان متقدا فى قلبه من نيران الغيرة والحنق ، وعادت اليه عواطفه نحوها ناسيا ما سمعه عنها ، وامسك عما كان يريده من توبيخها وتعنيفها ، وصار ينظر اليها نظره الى ملاك طاهر ، وقد ندم على ما فرط منه من الـكلام ، وهم بيدها فأمسكها وانهضها ، فابتلت يده بالدموع التى كانت تتساقط على خديها ، ووقفت هى ساكتة تمسح عينيها بمنديلها الذى فى يدها الاخرى

فقال لها : « خففى عنك يا سلمى وكفى عن البكاء ، فلست اطيق ان اراك باكية »

فرفعت يدها عن عينيها ونظرت اليه بطرف قد كدرته الدموع فذبل وتكسرت اهدابه . فوقعت تلك النظرة فى قلبه موقع السهم وهاجت فيه عاطفة الحب حتى ترقرقت الدموع فى عينيه وقال :
« عفوا يا عزيزتى ، واعتبرى ما حدث كأنه لم يكن ، فانى ما اردت بما قلته الا تجربة محبتك »

فتنهدت سلمى تنهدا عميقا وقالت وهى غير واثقة بصدق مايقول :
« امازلت فى حاجة الى تجربة محبتى لك ؟ الم تعلم بمكنونات قلبى من قبل ؟. اما والله انك لأول وآخر من طرق قلبى واقام به . فهل عندك شك فى ذلك يا سليم ؟. آه ثم آه من قلوب الرجال ما اقساها ! »

فلما سمع منها ذلك خفق قلبه ، لانه ذكره بحديث داود عنها ، ولـكن الحب كان قد تسلط على عواطفه فقال لها وقد وطد نفسه على حبها رغم كل شىء : « كونى كيف شئت وافعلى ما بدالك ، فانى قد ملكتك هذا القلب تصنعين به ماتريدين »

فلم يعجبها ما تخلل عبارته من الشك فى صدق محبتها وقالت له :
« الا تزال ترمينى بنبال الـكلام المموه يا سليم ؟ قلت لك صرح بمرادك واطلعنى على حقيقة رايك اذا كنت مرتابا فى صدق طويتى او داخلك شك فى حبى لك » . قالت ذلك وتنهدت ثم انقطع كلامها وهى لا تقوى على الوقوف لشدة الانفعال ، فحاولت الجلوس على ذلك الحجر فامسكها بيدها وقال : « كلا يا سلمى ، لست اشك فى محبتك لى ، ولا فى محبتى لك ، وان قلبى لا يفتأ يحدثنى بأنك تكنين لى مثل ما اكنه لك . فثقى بما اقول ، ودعينا من هذا الحديث وهلم بنا لنلحق ببقية الجماعة فانهم ولاشك قد استبطأونا ، ولنقض بقية اليوم فى التنزه والترفيه عن النفس ، تاركين شكوى الغرام الى فرصة اخرى »

وانطلقا عائدين حتى اطلا على الفضاء الرملى المحيط بالاهرام ، فاذا بحبيب قد عاد مع شقيقته وادما ، وجلس الجميع على اكمة من الحجارة كأنها اثر هرم صغير كان قائما هناك

ولاحظت سلمى ان الخادمة جالسة القرفصاء بجانب الاهرام حيث كانا واقفين ، وهى توقد نارا لاعداد الطعام الخفيف الذى جاءوا به معهم من القاهرة ، فخشيت ان تكون الخادمة قد سمعت شيئا من حديثها مع سليم ، ولـكنها استبعدت ذلك ، ومضت معه مظهرة الانبساط حتى وصلا الى مجلس الجماعة فاستقبلوهما بالترحاب :

وكانت والدتها تنظر اليهما وهما قادمان وتشكر الله على تآلف قلبيهما لعلمها أن المحبة الطاهرة من الطف العواطف واعودها بالفائدة على الاسرة والمجتمع

وبعد قليل فرغت الخادمة من اعداد الطعام ، فاكلوا جميعا ، ثم امضوا بقية الظهيرة يخطرون بين الاهرام وابى الهول بين تنزه وحديث وكل منهم يغنى على ليلاه

وكان حبيب ينظر تارة الى حبيبته ادما ، وتارة الى صديقه سليم وخطيبته سلمى ، ويجول بأفكاره حينا فيما وفق اليه من تحقيق ظنه وحينا فيما عرفه من ارتباك صديقه سليم بسبب رسالة والدته وحنقها على الفتاة التى احبها . وكان قد لحظ على وجهى سليم وسلمى آثار البكاء والاضطراب ، لـكنه تجاهل لعلمه أن تشاكى الغرام لا يخلو من مثل ذلك ولا سيما اذا خامره شيء من المصاعب والمعاكسات

اما سليم فتجاهل ما سمعه عن علاقة سلمى بداود وحبيب ، ووقر فى ذهنه الا صحة لذلك ، ولا سيما بعدما ظهر له من صدق محبة سلمى له وشدة انفعالها ورقة عواطفها ولطيف عتابها

واما ادما فقد كان ذلك اليوم أسعد الايام عندها ، اذ تحققت آمالها وبلغت امانيها ، ولـكنها ودت لو تتاح لها فرصة اخرى تخلو فيها الى حبيب قلبها فتبثه لواعج حبها فى صراحة حيث لا واش ولا رقيب

وفى نحو الساعة الرابعة بعد الظهر ، ركبوا العربات عائدين الى القاهرة . ولما بلغوا باب اللوق عرج حبيب وشقيقته ووالدته الى محطة حلوان ، وواصلت المركبتان الاخريان سيرهما ، بعد تبادل عبارات الوداع

رسول السوء

كان داود الذى وشى بسلمى وحبيب الى سليم رجلا دنيء الاصل ، اكتسب ثروة كبيرة من تعويضات الاسكندرية زورا وبهتانا ، وابتاع ارضا وبنى منزلا هناك ، ثم جاء القاهرة واقام بها دون عمل الا التردد الى اماكن اللهو . وكان الى دناءة اصله فاسد الاخلاق شديد البخل رغم غناه ، ولم يكن ليستنكف ان يبيع شرفه وذمته بدراهم معدودة

وكان مقيما بالقرب من بيت الخواجة سليمان ، وليس فى قصته التى قصها على سليم شيء من الصدق الا كونه كان مقيما هناك . فلم يكن يزورهم الا قليلا ، وكانوا يعاملونه معاملة الغريب كلما زارهم لاختلاف المشرب والتربية ، ولم يزوروه قط . على ان نفسه الخبيثة كانت تحدثه بامكان حصوله على سلمى بعد أن فتن بجمالها ولطفها ، ولـكنه لم يجرؤ على التصريح بشيء من ذلك ، ولا سيما بعد ان لاحظ اخلاص سلمى لسليم ، واحتقارها لـه هو وعدم اكترائها له

وكان يقيم بالقاهرة شتاء ، ثم يعود الى الاسكندرية فيقيم بمنزله فى جهة محرم بك هناك

واتفق ذات صيف وهو فى الاسكندرية ان سكنت فى المنزل المجاور لمنزله سيدة من اهل المدينة كانت على شاكلته من حيث دناءة الطبع وخسة النفس وسوء الخلق ، فتوطدت العلاقات بينه وبينها ، وكثر تردده لزيارتها ، حتى تناقل اهل الحى احاديث لا تسر عن وجود علاقة آثمة بينه وبين السيدة وردة جارته الجديدة

وكانت وردة هذه قبل انتقالها الى هذا المنزل تسكن منزلا فى شارع المسلة قرب محطة الرمل ، بجانب منزل فؤاد ، شقيق سليم ولما كانت السيدة والدة فؤاد وسليم من أطيب الناس قلبا واخلصهم طوية ، فقد خدعتها مظاهر اللطف والرقة والغنى التى كانت تبدو على جارتها واسرتها . وكان لوردة ابنة حسنة الخلقة بارعة الجمال تدعى « اميلى » . تربت على يدى والدتها فاكتسبت منها الدهاء وسعة الحيلة والاستهتار . وتحدث اهل الاسكندرية بجمالها وخفتها وغناها ، ولكنها لم تلق خاطبا حتى جاوزت الثلاثين من عمرها

فلما تعرفت والدتها الى والدة سليم ، اخذت تظهر لها كل الميل وتبالغ فى التقرب اليها ، وكلما اجتمعت بها اكثرت من التحدث بجمال ابنتها اميلى وحسن تربيتها وكمالها ، وكانت الفتاة بدورها تظهر الوداد والاحترام للسيدة والدة سليم

واتفق فى اثناء ذلك ان عاد سليم من اوربا حيث كان قد توجه اليها لدراسة المحاماة ، فاقام حينا بمنزل اخيه ، واعجبت به الفتاة ووالدتها كثيرا . اما هو فكان خلى الذهن من شواغل الحب لاهتمامه بأمر مستقبله واشتغاله بالمطالعة والتنقيب فى الكتب

على ان ذلك لم يمنع الفتاة وامها من الاحتيال لايقاعه فى شباكهما ، واستطاعت وردة اغراء والدته بمكرها ودهائها حتى حملتها على خطبة ابنتها له دون علمه ، على أن تحببها اليه وتقنعه بأن يتزوج بها بعد حين

ومضت وردة تكثر من تقديم الهدايا لوالدة سليم ، وتبالغ هى وابنتها فى اظهار الود والاحترام لها ، حتى بعد سفر سليم الى القاهرة واقامته بها ، وتعدانها بالسعادة الدائمة اذا تم اقتران سليم باميلى

اما فؤاد ، شقيق سليم فكان مشغولا بمصالحه الخاصة ، ولذلك لم يكن يتدخل فى شئون والدته ، ولا فيما دار بينها وبين وردة وابنتها من الحديث

وكانت والدته لشدة اخلاصها لوردة لا تخفى عليها شيئا ، فلما كتب اليها سليم من القاهرة بانه احب سلمى ، واعتزم خطبتها

تكدرت وذهبت بالكتاب الى وردة واطلعتها عليه ، فأخذت هذه تقذف فى حق سلمى مع انها لا تعرف عنها شيئا وقالت لها : « ان الناس قلما يخلصون لاحد ، وان ولدك سليما يستحق فتاة تليق به ، وسيان عندى تزوج ابنتى ام سواها ، ولكننى لا ارضى له مثل تلك الفتاة ! »

ثم اشارت عليها بأن ترد على خطابه ذاكرة له ان العادة المتبعة تقضى بألا يتزوج الشاب وفق اختياره هو وحده ، وبأن عليه ان يترك امر اختيار الزوجة لوالدته ، ثم تحذره من المضى فى صلته بسلمى

ولم تكن امه تعرف الكتابة ، فكلفت وردة جارها داود أن يكتب ذلك الكتاب ، فكتبه كما يشاء وبعث به الى سليم

ورد سليم على والدته بخطاب برهن فيه على صحة رايه ، واخذ يمتدح سلمى وحسن خصالها ، واستمرت المكاتبة بين سليم ووالدته حينا ، وهو لايزداد الا ثباتا فى الحب حتى كادت وردة ان تيأس من نيل مرامها ، رغم مادسته من الدسائس ، ولفقته من الاقاصيص المختلفة

فلما اعيتها الحيل خلت الى شيطانها داود ، واتفقت معه على ان يسعى لافساد ما بين سليم وسلمى من العلاقات ، على أن يكون له نصيب من « الدوطة »

فقال لها : « انى رهين اشارتك ، وليس بيننا فرق فان خدمتك واجبة على »

فقالت : « ان الامر لا يخفى عليك ، ولو لم ار فى اميلى ميلا اليه ما اهمنى امره ، ولا اضطررت الى ان احبه انا ايضا مجاراة لها »

ولاحظت فى وجه داود انقباضا ، لدى سماعه تصريحها بأنها تحب سليما ، فتداركت الامر ، وتكلفت الضحك ، ثم امسكت يد داود وقالت له : « حذار ان تكون قد صدقت انى أحبه ، فمهما يكن من الامر ، فان حبى له لا يبلغ نقطة من بحر محبتى لك »

فضحك داود فرحا ، حتى غارت عيناه الصغيرتان وبرزت أسنانه السوداء ، وكاد يستلقى على قفاه ، ثم نظر الى وردة وربت ظهرها

قائلا : « بورك فيك يا عزيزتى ، أنا أعلم ذلك جيدا ، ولاشك عندى فى صدق محبتك لى ، وها أنذا اكراما لعينيك سأسعى جهدى فى سبيل بلوغ الغاية التى تريدينها »

فقالت له وهى تنظر اليه بعينيها نظرات الدلال : « هكذا تكون الشهامة والنخوة ، وهكذا يكون المحبون ، فامض الى القاهرة ودبر الامر بحكمتك وذكائك ، وانى لفى انتظار ما يكون »

فنهض داود واعدا بالتأهب للسفر فـورا ، فصافحته مودعة ووضعت فى يده بضعة جنيهات قائلة : « هـذه نفقات الطريق » . فقبض الجنيهات وخرج بها مسرورا ؟

ثم أغرت وردة والدة سليم صديقتها بكتابة خطاب اليه تخبره فيه بما يطابق الرسالة التى كلفت بها داود ، فتأثرت والدته الطيبة القلب باغرائها ، وبعثت اليه بذلك الخطاب

□

كانت لوردة خادمة قديمة عجوز اسمها سعيدة ، تماثلهـا فى المكر واللؤم والخسة ، فدعتها وردة اليها بعد خروج داود من عندها ، وانقدتها جنيهين قائلة : « ان اخلاصك يستحق أكثر من هـذه الهبة المتواضعة ، ولـكن الايام بيننا »

فعجبت العجوز لهذه العطية على غير انتظار ، وعلمت لدهائها ومكرها أن سيدتها تريد منها امرا ، فهمت بيدها وقبلتها وقـد انبسط وجهها ، وأخذت تدعو لها بطول البقاء ، وأن يتم الله نعمته عليها بتوفيق ابنتها اميلى الى زوج يسعدها ، فتنهدت وردة وقالت : « انت تعلمين يا سعيدة انى ترملت منذ سنين وليس لى الا هذه الفتاة »

قالت : « نعم يا سيدتى ، وادعو الله ان يطيل عمركما ، ويعوض صبركما خيرا »

فقالت وردة : « انى زهدت الدنيا من أجلها ، فهى تعزيتى الوحيدة فى هذا العالم ، ولا يخفى عليك ما هى عليـه من الجمال واللطف

والدلال ، وقد خطبها كثيرون من خير شباب الاسكندرية ، ولكنها لم ترض بأحد منهم ، ولم اشأ أن ارغمها على القبول ، واخيرا رزقها الله بخطيب نال رضاها واعجابها ، فكانت فرحتى بذلك عظيمة ، ولـكن اولاد الحرام اغروا الشاب بحب فتاة أخرى فى القاهرة ، وعبثا حاولت والدته أن تنقذه من حب تلك الفتاة »

فقالت سعيدة مغضبة : « لعنة الله عليها وعلى من اوقعوه فى شراكها ، الم تعرفى شيئا عنها يا سيدتى ؟ »

قالت : « انها تقطن فى شارع شبرا بالقاهرة ، واسمها سلمى ، واسم ابيها الخواجة سليمان . ويبدو انها واهلها يشددون الخناق على سليم لـكيلا يتركوا له فرصة للتروى والتفكير »

فقالت سعيدة : « صدق من قال : اولاد الحرام لم يتركوا شيئا لاولاد الحلال ، ولـكن صبرا فسأعرف كيف انقذه منهم باذن الله ، وسأسافر فـورا الى القـاهرة ولن ارجـع الى الاسكندرية الا وهو معى »

قالت ذلك ومضت الى غرفتها ، فأخذت تعد ثيابها تأهبا للسفر ، وتبعتها سيدتها لتودعها واخذت توصيها بكتمان الامر عن كـل انسان ، وبعد أن اعدت سعيدة ما تحتاج اليه من الثياب فى صرة ، تناولت شيئا من الطعام ثم ودعت سيدتها وخرجت توا الى المحطة فركبت القطار قاصدة الى القاهرة ، فوصلت اليها فى المساء ، وكانت تعرف طرقاتها لأنها ربيت فيها وخدمت فى كثير من بيوتها ، فقضت ليلتها فى بيت بعض أقربائها ، ثم بكرت فى صباح اليوم التالى فارتدت ملاءتها وتبرقعت ، وقصدت الى بيت الخواجة سليمان فى شارع شبرا ، فاتفق وصولها اليه قبل ثلاثة أيام من رحلة الاهرام السالفة الذكر

وقرعت الباب ، ففتحته لها والدة سلمى بنفسها وسألتها عما تريد ، فقالت : « انى امرأة مسكينة ليس لى من يعولنى وقـد طرقت أبواب الخدمة فى المنازل بوساطة المخدمين فكانوا كلما خدمت فى بيت يأخذون نصف اجرى ظلما وعدوانا ، والا عملوا على طردى من المنزل الذى اخدم فيه . واخيرا اعتزمت أن ابحث بنفسى عن

عمل أعيش منه ، ومازلت أواصل البحث عن اسرة كريمة طيبة حتى دلنى بعض أولاد الحلال على هذا البيت . وانى احمد الله على ان وفقنى الىّ بيتكم ، اذ يبدو لى انك سيدة فاضلة كريمة . فاذا رايت أن أكون خادمة عندك ، فذلك ما أتمناه ، وسترين منى مايسرك باذن الله »

وكانت والدة سلمى قد عانت عذابا اليما بسبب الخدم والمخدمين ، وكثيرا ما كانت تطلب من المخدم خادمة وتنقده اجره على ذلك مضاعفا ، ولكنه لايلبث بضعة ايام حتى يغرى الخادمة بالخروج من عندها ، لكى يلحقها بالخدمة فى بيت آخر وينال اجرا جديدا . وهذه حالة يشكو منها أكثر أهل القاهرة ولا سيما السيدات لاحتياجهن الى الخدم . وكان فى بيت الخواجة سليمان خادمة من هذا القبيل لاتكاد تحسن عملا من اعمال البيت . ولهذا ما كادت والدة سلمى تسمع كلام سعيدة ، مع ما عاينت فيها من الظواهر الحسنة حتى سرت بتلك الفرصة وهرولت الى سلمى واخبرتها بالامر ، فوافقتها على استخدامها بدلا من الخادمة القديمة ، ولكنها قالت لها : « على انى اخشى ان تكون الخادمة الجديدة من المحتالات ، وربما سرقت شيئا من البيت »

فعادت أمها الى سعيدة وسألتها عن اسمها ، فلما نبأتها به قالت لها : « ان العادة جرت ياسعيدة بأن يأتى الخادمات بضمانة ، فهل تستطيعين ذلك ؟ »

فتنهدت وقالت : « لقد صرحت لك ياسيدتى بما عانيته من المخدمين وضماناتهم ، فلست أستطيع ان آتى بضمانة ، ولكن عندى سوارا وقرطا ثمينين فاجعليهما عندك الى ان تتحققى امانتى »

فاقتنعت بذلك ، والحقتها بخدمة البيت بدلا من الخادمة القديمة ، فأخذت سعيدة تظهر من المهارة فى الخدمة والنظافة ولطف الحديث ما جعلها موضع اعجاب سلمى ووالدتها ، وحسبتا انهما حصلتا على سعادة لم يحصل عليها احد سواهما

وكانت سعيدة تمتدح سلمى دائما ، وتبالغ فى التقرب اليها واظهار التفانى فى محبتها ، فأحبتها سلمى واشارت باصطحابها معهم فى رحلة الاهرام

أما داود فبارح الاسكندرية بالقطار السريع ، وقضى معظم الطريق فى اعداد القصة التى قصها على سليم ، ثم عاد الى الاسكندرية وفى ظنه أن قصته مع الخطاب الذى كتبته وردة الى سليم على لسان والدته فيهما ما يكفى لعدوله عن حب سلمى

وتربص الجميع هناك فى انتظار رد سليم على خطاب والدته بعد مقابلة داود ، فمضى اسبوع دون ان يصل اليهم اى شىء عنه . على ان وردة كانت كبيرة الامل فى ان تنال بغيتها على يد سعيدة فلبثت تنتظر اخبارها على احر من الجمر

□

ركب حبيب القطار عائدا الى حلوان مع والدته وشقيقته ، وقد كان فى متمناه الا يفارق ادما ، على انه اشار اليها عند الوداع بما يدل على انه فارقها مرغما ، وسيلتقى بها عما قريب

وكانت هى قد احست عند وقوف العربات للوداع عند محطة حلوان ، بأن قلبها سينتزع منها ، ولكنها تعللت بقرب اللقاء لان حبيبا تعود التردد على بيت ابيها من حين الى حين

وبقى حبيب فى القطار صامتا سابحا فى تيار من الهواجس التى لم يشعر من قبل بمثلها ، لكنه رغم سروره بما تحققه من حب ادما ، كان يشعر بانقباض داخلى لا يعرف له سببا

ولاحظت والدته صمته وانقباضه فقالت له : « مالى اراك صامتا يا حبيب بعد ان كنت مسرورا جدا فى الاهرام ، هل انت منكدر من شىء ؟ »

فانتبه لنفسه بغتة وقال مبتسما : « لا ياوالدتى ليس هناك ما يكدرنى ، بل انا فى غاية السرور من نزهة هذا اليوم ، ولا اعلم لماذا يشعر الانسان بعد مثل هذا السرور بالانقباض ، ولعل هذا

من قبيل رد الفعل ، وعلى كل حال هذه ليست المرة الاولى التى شعرت فيها بمثل هذا الشعور ، فانى كلما عدت من مجتمع سار ابقى مدة صامتا اراجع فى مخيلتى ما شاهدته من المناظر وما سمعته من الاحاديث »

فقالت شقيقته : « هذا صحيح ، فأنا ايضا اشارك حبيبا فى هذا الشعور ، وها انذا كنت صامتة مثله افكر فيما سعدنا به اليوم فى رحلتنا اللطيفة ، خصوصا لوجودى مع صديقتى ادما »

فلما سمع حبيب اسم ادما ، خفق قلبه وعاد الى هواجسه ، فقالت والدته تخاطب شقيقته : « حقا يا شفيقة ان ادما عاقلة لطيفة قريبة من القلب كثيرا ، وقد كنت تمدحينها امامى كثيرا ولكننى عاينت منها فوق ما كنت أسمع »

فسر حبيب لهذا الحديث ، واراد ان يستزيد من معرفة راى والدته فى ادما ، فقال لها : « الم تعرفيها قبل الآن يا اماه ؟ »

فقالت : « لا يا ولدى ، ولـكنى كنت اسمع عنها مدحا كثيرا من شقيقتك منذ كانتا زميلتين فى المدرسة فى بيروت ، وقد رايتها قبل اليوم فى زيارات سريعة لأسرتها . اما اليوم فقد قضينا معظم النهار معا فرايت منها لطفا كثيرا وادبا جما ، وأعجبنى تهذيبها ولطف حديثها ، كما سرنى تعلقها بشفيقة وتعلق شفيقة بها »

فقال : « ان ايام المدرسة تنمو فيها المحبة وتشتد »

فقالت شفيقة : « صدقت يا اخى ، ولـكنى احببت ادما اكثر مما احببت غيرها من رفيقاتى »

فقال حبيب وقد ازداد سروره لمحبة والدته وشقيقته لادما : « انها حقا غاية فى اللطف والتهذيب وجديرة بكل اعجاب وتقدير »

وكانت والدته اثناء ذلك تفكر فى خطبة ادما لحبيب ، فارادت ان تستطلع رايه فى ذلك ولـكنها امسكت عن ذلك لوجود ابنتها معهما على ان تنتهز فرصة اخرى لمخاطبته فى هذا الشان

وهكذا انقطع الحديث حتى وصل القطار الى حلوان

كتاب من سلمى

بقى سليم فى العربة حتى وصلت الى بيت سلمى ، فاستأذن فى الانصراف ، ولـكن ابويها الحا عليه فى البقاء لتناول العشاء وقضاء بقية السهرة ، ونظر الى وجه سلمى فاذا هى تلتمس بقاءه ايضا فأطاع اشارة عينيها مذعنا ، ودخل الجميع المنزل والخادمة سعيدة معهم ، وبعد ان غسلوا وجوههم من آثار الغبار الذى تراكم عليها فى الطريق ، اخذت سعيدة معطف سليم لتنظفه من الغبار ، ثم تظاهرت بأنها تبحث عن الفرشاة ، ومضت بالمعطف الى غرفة منعزلة ، وهناك اخذت تفتش جيوبه ، فعثرت فى احدها بورقة عرفت من لونها وهيئتها انها هى التى كتبها داود اجابة لطلب سيدتها وردة وبعث بها الى سليم على لسان والدته ، فأخفتها فى جيبها

وجلس الجميع يتجاذبون اطراف الحديث بعد العشاء ، وقد سرت سلمى بعودة البشر والملاطفة الى وجه سليم ، وكان قد وطن نفسه على التظاهر بالسرور امامها ، تاركا امر المستقبل للأقدار

وفى آخر السهرة انصرف سليم الى الفندق الذى يسكنه ، وبقى طول الطريق مستغرقا فى التفكير ، وما زال صوت سلمى يرن فى اذنيه وهى تودعه وتنظر اليه فى حب وحنان قائلة : « مع السلامة والى اللقاء قريبا »

واشتدت به هواجسه اذ تصور المصاعب التى احدقت به ولم يدر كيف يتخلص منها ، واشد تلك المصاعب حديث داود عن سلمى وحبيب ، ثم تذكر رسائل والدته وما كتبته اليه أخيرا من اصرارها على تركه سلمى ، وتصور مدى التضحيات التى قدمتها والدته فى سبيل تربيته وتربية اخيه ، فآثرت بقاءها ارملة بعد موت أبيهما ،

رغبة فى راحتهما . وتذكر انها طالما سهرت عليه وتعبت فى سبيل اتمامه تعليمه ، وانها اصبحت اشد تعلقا به بعد زواج اخيه ، ولا شيء يسليها عن ترملها واحزانها الا اهتمامها بمستقبله ، وكيف انها كانت تعد الدقائق والساعات لـكى تزوجه وتفرح به وتقيم ببيته لانها كانت تؤثره على شقيقه لذكائه ولطفه . ثم نظر الى ما هى فيـه الآن وكيف انها وقعت فى وهـدة اليأس من جراء مخالفته لهـا حتى انها ربما تقضى اسى وحـزنا ويكون هـو السبب فى كل ذلك

فلما تصور هذه النهاية تحركت عواطفه واشتد به الحزن حتى بكى واخذ يناجى نفسه قائلا : « ان هذه المتاعب مصدرها سلمى ، فتركها والتخلص منها ينقذنى من جميع هذه الاحزان مرة واحدة ، ولـكن آه كيف اتركها وكيف اتخلى عنها وقد ارتبطنا معا برابطة المحبة ، وقد وعدتها وعدا وثيقا بالاقتران ، فماذا يكون من امرها اذا اخلفت الوعد ؟ بل كيف تفعل لو علمت ان هذا الامر قد خطـر ببالى ... لا لا ياسليم ... لا اترك سلمى ويجب الا اتركهـا لئلا اكون سببا لشقائى وشقائها ... ولـكنها تحب حبيبا . آه من هذا الحبيب ! ولـكن كيف يمكن ان تحبه وتخون عهدى ؟ »

ثم صمت برهة وعاد فقال : « اما اذا تحققت انها تحبه فلا يتعب ضميرى بتركها ، لكن من يخبرنى انها تحبه او لاتحبه ... ولـكننى سمعت ذلك باذنى من رجل غريب لا اعرفه ولا يعرفنى ، وقـد رايتها بعينى جالسة الى جانبه يضحكان وعلى وجهيهما آثار المحبة ولما رايانى داخلا بغتا وخجلا . اليس ذلك كافيا لاثبات ما سمعته عنها ؟ اذن هى خائنة ... واذا تركتها من يلومنى ؟ ... سلمى خائنة ؟! لا لا .. سلمى لا تخون وكيف يمكن ان يكون ذلك الملاك خائنا ؟ انها ملاك طاهر نقى وقد عرفت ذلك باختبارها ، انها اطهر البشر ، نعم انها اطهر بنات جنسها ولايمكن ان تعرف الخيانة والغدر »

وفيما هو فى هذه الهواجس وصل الى باب المنزل وصعد الى غرفته فدخلها واضاء الشمعة واشعل سيجارة وقد ذهب الرقاد من جفنه

وضاق صدره ، فاراد الجلوس ولـكنه احس كأن تلك الغرفة سجن مظلم ، فانقبضت نفسه ولم يستطع الجلوس ، فاخذ يذرع أرض الغرفة وهو سابح فى هواجسه يردد تلك القصة فى ذهنه ، تارة يغضب وطورا يغار وتارة يحزن . فاخذت تتجاذبه جواذب الحب والغيرة والحزن والغيظ والحنق واليأس والحنو حتى ضاق ذرعا باحتمال ذلك ، ولم يعد يستطيع البقاء فى الغرفة فخرج منهـا ، ونزل الى الشارع للترويح عن نفسه فنادى مركبة ركب فيهـا وهو لا يدرى الى اين يريد الذهاب ، فسارت العربة فى شارع الفجالة وبعد ان مشت برهة ساله السائق عن الجهة التى يريدها فقال : « سر الى العباسية » . فجرت المركبة وهو غافل عن كل شيء حوله ، ولم يجذبه منظر الشارع المضيء بالغاز والاشجار تظلله وتحجب عنه ضوء القمر اذ كانت الليلة مقمرة ، لانه كان مشتغلا بسلمى وحبيب ووالدته عن كل شيء حوله ، ولم ينتبه حتى وقفت المركبة الى جانب المرصد ، فتحول سليم منها الى ذلك الفضاء الرملى الشاسع الاطراف يتخلله بناء المرصد من جهة وقشلاقات العباسية من جهة اخرى والسكون مستول على الفضاء ، وضوء القمر يغمره والسماء نقية ليس فيها اثر للغيوم

فمشى بين اشجار السنط المتفرقة على جوانب المرصد ، محاولا التشاغل بالنظر اليها والى ما حوله من الفضاء الواسع ، والسائق ينظر اليه ويعجب من انفراده هناك فى منتصف الليل

واخيرا ، جلس سليم على حجر وجده خلف شجرة هناك بحيث لا يراه السائق ، واخذ يتأمل حاله ، ويفكر فيما احدق به من الشواغل والعواطف المتضاربة ، وتصور سلمى فى تلك السـاعة راقدة فى فراشها وقد استغرقت فى النوم فـلا تدرى شيئا عن اضطرابه وتردده ، ثم تصور والدته وقد جلست حزينة ، كئيبة باكية ، فارتعدت فرائصه وتساقطت عبراته واخذ فى البكاء محاذرا ان يسمعه احد ، وكان لشدة اضطرابه يخيل اليه ان تلك الاشجار اشباح رقباء يرونه ويسمعون شهيقه . وما زال بين بكاء وخوف

حتى انهكه التعب فخارت قواه وذبلت اجفانه ، فأسند راسه الى تلك الشجرة ، وما لبث قليلا حتى اخذه النوم وهو على تلك الحال

ورأى فى منامه كأن سلمى قادمة اليه ، ووجهها يفيض نورا ، وعليها رداء ابيض ناصع تجرره وراءها ، وهى باسمة الثغر ، وعيناها السوداوان تنظران اليه فى توسل وعتاب . ولما دنت منه جثت امامه وقالت له والعبرات ملء عينيها : « سامحك الله يا سليم على اساءتك الظن بى ، وانى والله لبريئة من تلك التهم ، وما كان لى أن ادنس شرفى او اخون عهدك بعد أن وقفت قلبى وعواطفى على حبك . فهلا اشفقت على هذا القلب الكسير الذى لم يعرف الحب لأحد سواك ؟ »

فاستيقظ بغتة وقد ارتعدت فرائصه وصاح قائلا : « سلمى حبيبتى سلمى .. روحى وقلبى ، لا عاش من ظن بك سوءا »

ثم التفت حوله فاذا هو فى قفر لا شىء امامه الا الاشجار الشائكة والخلاء الواسع ، فندم على يقظته وود لو يعود النعاس الى جفنيه فيرى حبيبته فى ذلك الثوب الملائكى ويتمتع بطلعتها الباهرة ، ولكنه لم يستطع فعاد الى البكاء واخذ يناجى نفسه قائلا : « ان خيالك يا حبيبتى اصدق شاهد على اخلاصك ، وبياض ردائك دليل على نقاوة ذلك القلب الذى ما عرفت فيه الا الطهارة والنقاء . قبح الله ذلك الواشى قبيح الوجه ، ان وجهه لدليل على ماق قلبه من السوء ، وما انت الا طاهرة لاعيب فيك . آه لو كنت تعودين الى فاتزود منك نظرة ثانية . انى ثابت فى حبك ثبات الجبال الراسيات »

ومرت بذهنه صورة والدته ورسائلها ، ولكن حبه لسلمى طغى على ما عداه . ثم نهض ومضى الى حيث كانت العربة فى انتظاره ، وقد اخذ منه برد الليل كل مأخذ ، فأحس بالتعب وخشى ان يكون قد اصيب بمرض ، ولكنه عاد فود لو يكون مرضه حقا فيشغله عن تلك الهواجس

ومضت به المركبة عائدة الى القاهرة وهو يفكر فى ذلك ، فتصور انه اصيب بمرض عضال ، وانه اشتد عليه حتى قارب الوفاة ،

واجفل وقال يحدث نفسه : « لا .. لا اريد الموت الآن حتى لا اكون سببا لشقاء سلمى »

ثم رجع اليه صوابه فرأى انه اصبح عبدا لعواطفه ولم يترك لعقله فرصة للعمل ، فقال مناجيا نفسه : « ما هذا يا سليم ؟ خذ الأمر بالصبر ، وتدبر الامور بالحكمة . نعم يجب ان اصبر

« واصبر حتى يعلم الصبر اننى صبرت على شىء أمر من الصبر »

ولاح له ان يكاشف احد اصدقائه بأمره ، ولكنه حار ولم يدر ايهم يكاشف ؟. وتذكر ان مصدر شقائه كان هو حبيب اعز اصدقائه فتأوه وعادت الدموع تنهمر من عينيه ، لكنه تجلد وقال : « من ادرانى انه كما بلغنى عنه ذلك الشيطان ؟ أعوذ بالله من شر كل شيطان ! »

وما زالت المركبة ماضية به حتى بلغت الفندق فنزل منها ، ودفع للسائق اجرته ، ثم صعد الى غرفته ودخلها وقد اخذ التعب والبرد منه مأخذا عظيما فبدل ثيابه ونام

□

استيقظ سليم فى صباح اليوم التالى على قرع باب غرفته ، فنهض وفتح الباب فاذا بخادم الفندق يحمل اليه كتابا ليس عليه خاتم البريد قائلا : « جاءت بهذا الخطاب لك منذ ساعة امراة عجوز ، وقد انصرفت بعد ان اوصتنى بأن اسلمه اليك حين تستيقظ »

فأخذ سليم الكتاب ، وما كاد نظره يقع على العنوان حتى اختلج قلبه فى صدره ، لأن الخط الذى كتب به يشبه خط سلمى ، فدخل الغرفة وفض الخطاب فاذا هو بخطها وعليه توقيعها . فازداد خفقان قلبه ، وجلس على سريره واخذ يقرأ الخطاب ، فاذا فيه :

« حبيبى ومنية فؤادى سليم

« اكتب اليك هذا الخطاب ، ولعله آخر ما اكتب اليك . وهذه هى يدى ترتجف ، وهذا قلبى يخفق ، بينما دموعى تتساقط على

الورق ، وانا فى حال لم اشعر من قبل بمثلها . ولكننى استحلفك بما اكنه لك من محبة طاهرة خالصة من كل دنس ان تحفظ ما تقرؤه سرا لا يطلع عليه سواك ، وان تعيره اذنا صاغية وتعتبره صادرا عن قلب يتقد حبا واخلاصا . قلب لم يكن يعرف الخفقان قبل ان عرفك ، ولا عرف القلق او السهاد الا منذ حللت فيه

« اننى اكتب اليك الآن وقد انتصف الليل وهجع الناس مطمئنين، وانا وحدى الساهرة المعذبة اسيرة القلق والاضطراب

« وانى لاشكر الله على ان وقفت اخيرا على سبب متاعبك ، بعد ان اخفيته على كرما منك ورحمة بى . نعم اشكر الله على انى عرفت الداء وصرت قادرة على وصف الدواء ، وكما انك تحملت العناء فى سبيلى ، يجب ان اتحمل فى سبيلك مثل ذلك العناء

« لقد وقع فى يدى اتفاقا خطاب والدتك اليك فى شانى ، وقد فهمت منه انك تقاسى امورا مضنية من اجل حبى ، وتكافح مكافحة الابطال لكى تفى بعهدك لى ، فاكرم بك من محب صادق وصديق مخلص

« اما التهم الموجهة الى فى ذلك الكتاب ، فلا اريد ان ابين بطلانها الظاهر ، ولكن اكتفى بأن أقول : (ان والدتك طيبة القلب وقد عانت كثيرا فى سبيل تربيتك وزهدت مباهج الدنيا من اجلك ، ووضعت كل آمالها فيك ، فاقل ما تنتظره منك ان تكون تعزيتها فى شيخوختها)

« ولاشك فى انك ان اصررت على عزمك وخالفتها ، ستكون سببا لشقائها ، ولما كنت أعلم أن العهود التى بيننا هى مصدر متاعبك ، لاعتبارك اياها عهودا مقدسة لا يسمح لك شرفك بنكثها ، واكرم به من شرف اثيل ، فقد لاح لى ان اكتب اليك مذكرة اياك بأن الضرورات تبيح المحظورات ، ولأقول لك وكلى اسف انى قد رايت من الواجب على ان اجعلك فى حل من تلك العهود ، لتكون حرا تختار لنفسك الزوجة التى ترضيك وترضى عنها والدتك

« فنحن منذ الآن ، كما كنا قبل عشر سنين ، لا عهود بيننا ولا روابط

« آه يا سليم . انى اكتب هذا وقلبى يقطر دما ، ويداى ترتجفان ، وعيناى لاتريان ما اكتب لما حال بينهما وبين هذا القرطاس من الدموع . ولكن عزائى الوحيد انى اضحى فى سبيل راحتك وسعادتك

« فاذا قرات هذا فبادر بالكتابة الى والدتك جابرا كسر قلبها ، وانها لأحق منى بالرثاء . وقد يهون عليك ان تعود بتصوراتك الى ما كنت عليه منذ عشر سنين يوم لم يكن لسلمى صورة فى ذهنك . اما والدتك فلن تستطيع نسيانها ولا يليق ذلك بك ، وهى التى حملتك وارضعتك ووقفت حياتها على تربيتك . وثق بأنى لذلك احبها واؤثر راحتها على راحتى

« ولابد لى قبل الختام من ان اودعك الوداع الاخير فربما لااراك بعد الآن ، وان كانت صورتك لن تبرح هذا القلب الذى ملكتك وحدك اياه . وحسبى ان تذكرنى فى ساعات صفوك سواء اكنت بين الاحياء ام بين الاموات ، فانى على الحالين لن انسى هواك ، وسأبقى الى الابد احب محبيك وابغض مبغضيك ، وارجو ان تصفح عن جراتى هذه ، ودم سعيدا سالما للمخلصة الوفية .. سلمى »

وما انتهى سليم من قراءة الخطاب حتى كان قد بلله بالدموع واشتد به الوجد والحزن فاستلقى على السرير واطلق لنفسه عنان البكاء . وكان وهو يقرأ الخطاب قد لاح له أن يتفقد خطاب والدته الذى اشارت اليه سلمى ، ولكن الحزن والهيام انسياه ذلك ، فبقى ممعنا فى النحيب حتى جفت دموعه وجف ريقه فى حلقه وكاد يختنق ، ثم احس بقشعريرة فالتحف بالغطاء وكان لا يزال متعبا لطول سهره بالامس وشدة الهيام وكثرة البكاء ، فاخذته سنة من النوم .

كانت والدة حبيب قد لاحظت ميله الى ادما ، فسرها ذلك وانتظرت حتى انتهوا من تناول العشاء بعد عودتهم الى المنزل فى

فعاد حبيب الى تعقله وفكر فى امر مستقبله ، وتذكر انه كان منذ حين يخشى استغناء الحكومة عن خدمته ، فقال لوالدته : « هبى انها وافقت ، افلا ترين ان زواجها بموظف مثلى معرض للفصل كل يوم ، مما يعرضها للخطر ؟ »

قالت : « ان الله هو الرزاق يا ولدى ، وهو يرزق الموظفين وغيرهم . ثم انك الآن لست فى حاجة الى اكثر من اعلان الخطبة ، والى أن يحين موعد الاقتران يفعل الله ما يشاء »

فلم يقتنع حبيب بكلام والدته ، ولكن حبه لأدما جعله يوافق دون اقتناع

فقال : «صدقت يا اماه ، وما دام الامر كذلك ، فان اتمامه سهل باذن الله . ولكن امهلينى قليلا قبل ان تعلن الخطبة لكى اعد لها عدتها »

فقالت : « افعل ما بدا لك ، ولنحفظ هذا الأمر مكتوما حتى يتم باذن الله ».ثم ذهب كل منهما الى فراشه ، وبقى حبيب حتى اقترب الفجر مسهدا يفكر فى ادما وخطبته لها ، وفيما دار بينه وبين والدته فى شأنها . وكان على شدة تعلقه بها يشعر باحجام داخلى وتخوف من الاقدام على خطبتها ، فأخذ يبحث عن وسيلة لعلاج ذلك الأمر ، ولما اعياه البحث دون نتيجة ، قرر أن يكاشف بأمره صديقه سليما ، لعله يشير عليه بالعلاج المفيد

كشف السر

نهض حبيب من فراشه فى صباح اليوم التالى وهو ما زال قلقا حائرا ، ثم استقل القطار الى القاهرة ، حيث توجه الى مقر منصبه ، وبقى يعمل حتى الساعة الثانية عشرة ، وانتحل عذرا ابداه لرئيسه ، فسمح له بالخروج من الديوان قبل الميعاد المحدد

ومضى لفوره الى مكتب سليم ، فعلم انه لم يحضر اليه فى ذلك اليوم ، فقلق عليه وانطلق الى الفندق الذى يسكنه ، فوجد بابغرفته مفتوحا ، وما كاد يدخل حتى وجده ممددا فى سريره وقد استغرق فى النوم ، فعجب لرقاده حتى تلك الساعة ، ولاحت منه التفاتة فاذا بورقة ملقاة على السرير بجانب سليم ، ولاحظ ان خطها يشبه خط سلمى وكان يعرفه ، فازداد تعجبه وأراد ايقاظ سليم ، لكنه آثر التريث حتى يرى ما فى تلك الورقة ، فتناولها ويده ترتجف لعلمه بما فى الاطلاع عليها من منافاة للآداب العامة ، لكنه برر فعلته هذه بأنه على علم بأمر سليم مع والدته بسبب سلمى ، وبأن اطلاعه على الورقة بغير علمه قد يعاونه على ان ينفعه بشىء

ولكنه خشى ان يستيقظ سليم فجأة فيراه وهو يقرا الورقة ، فأعادها الى حيث كانت بجانبه على السرير ، مكتفيا بالنظر اليها وهو واقف بازائه فوقعت عينه على الفقرة التى ذكرت فيها سلمى انها تحل سليما مما بينهما من العهود ، وانها تفعل ذلك مضحية بقلبها وسعادتها فى سبيل انقاذه من تردده وحيرته بينها وبين والدته . ولم يستطع لاضطرابه ان يقرا بقية ما فى الورقة ، ولكنه فهم مضمونها ، واعجب كل الاعجاب باخلاص تلك الفتاة وتضحيتها

ثم لاح له ان سليما قد نام والرسالة في يده وباب الغرفة مفتوح عن غير قصد منه ، وهو لذلك قد يغضب ويخجل اذا استيقظ ورآه بجانبه. فتقهقر خارجا من الغرفة وهو يحاذر ان يحدث صوتا يوقظه ، وكان خدم الفندق مشغولين بمهامهم فلم ينتبهوا لدخوله وخروجه ، ولكنه خشي ان يدخل احد غيره غرفة سليم ويرى مثل ما راى ، فأغلق الباب وراءه وانسل راجعا من حيث اتى وهو يفكر في أمر صديقه ومتاعبه ، وقد نسي ما جاء من اجله

ولم يشأ ان يرجع الى حلوان قبل ان يراه ثانية ويفهم منه شيئا عن حاله ، فتوجه الى مقهى قريب وجلس فيه ساعة وهو على مثل الجمر ، ثم عاد الى غرفة صديقه وطرق الباب ، فسمع سليما يقول بصوت ضعيف : « ادخل » ففتح الباب ودخل فاذا بسليم ما يزال في سريره وقد كلل العرق وجهه وتوردت وجنتاه كانه محموم

وما كاد سليم يشاهده حتى هاجت عواطفه واشجانه ، فدمعت عيناه وهو يرد تحيته في صوت ضعيف مضطرب حزين ويشير اليه بأن يجلس بجانبه ، فانفطر قلب حبيب لهذا المنظر المؤثر ، وترقرقت الدموع في عينيه ، ثم انحنى على صديقه في سريره وامسك يده يجسها فاذا هي تتقد سخونة ، فعلم انه مصاب بالحمى ، لكنه تجاهل وقال له : « ما لي أراك في الفراش يا عزيزي حتى هذه الساعة ؟ هل تشكو من شيء ؟ »

فقال : « لا شيء يا عزيزي الا اني اشعر بانحطاط قواي وارتفاع حرارة جسمي ، ولعلي مصاب بالحمى »

قال : « لا بأس عليك ، وهل شعرت بذلك اليوم فقط ؟ » . فقال : « نعم ، ولكني شعرت امس ببعض التعب وأرقت قليلا ، فاصبحت اليوم كما ترى ولم استطع الخروج ، ثم اشتد بي التعب وشعرت بالحمى فاخذتني سنة من الكرى ولم افق الا منذ قليل »

وتذكر سليم كتاب سلمى ومجيء حبيب اليه في تلك الساعة على غير المعتاد

ولاح له ان العبارات التي قرأها في كتاب سلمى ، رغم ما تتجلى فيها من الشهامة وعزة النفس ، لا تخلو من الاحتيال ، ولعل سلمى

هي التي ارسلت اليه حبيبا ليستطلع فكره واثر ذلك الكتاب في نفسه على انه ما لبث قليلا حتى طرد هذه الخواطر من مخيلته ، مستبعدا تواطؤ سلمى وحبيب ضده ، ثم حاول جهده اخفاء ما يعتلج في صدره من الغيرة والشك ، وبقي صامتا متعللا بانحراف صحته

اما حبيب فراح ينظر اليه نظرة المحب الصادق المخلص الذي يفتدي اصدقاءه بنفسه ، وحدثته نفسه مرارا بأن يستطلعه حقيقة حاله ، لكنه خشي ان يذكره بأمر يود نسيانه لما هو فيه من المرض

فلبثا حينا صامتين وكل منهما مشغول بهواجسه ، ثم قال حبيب : « كيف حالك يا عزيزي ، لعلك احسن الآن ؟ »

فقال سليم بصوت مختنق : « احس صداعا شديدا في راسي وكأن نارا تتقد في جسمي »

فقال : « هل ادعو لك الطبيب ؟ »

قال : « لا ارى حاجة الى الطبيب الآن ، ولكن ربما احتاج اليه بعدئذ »

قال : « هل ادعو الخادم ليأتيك بشيء من المرق او شراب الليمون ، كي تبل معدتك » . قال : « لا بأس من ذلك »

فدعا حبيب الخادم وأمره باحضار قدح من شراب الليمون ، فلما جاء به تناوله سليم بعد ان انهضه حبيب واسنده جالسا في السرير ، وشرب جانبا منه ، ثم وضعه على المنضدة المجاورة للسرير وعاد الى الوسد والعرق قد بلل ثيابه

وهنا اشار عليه حبيب بأن يغير له ملابسه المبتلة ، فقبل ، وشعر على اثر ذلك ببعض الراحة ، فمضى يجاذب حبيبا اطراف الاحاديث ، ويجاهد لابعاد الهواجس التي عاودته ، في شأن علاقة حبيب بسلمى . فلما نظر الى حبيب ازداد غيرة وحيرة وتفكيرا في سبب مجيئه في تلك الساعة على غير المعتاد ، وعقب وصول كتاب سلمى . وما زالت هذه الهواجس تلح عليه حتى تمكن منه الاعتقاد بتواطؤ حبيب وسلمى ضده فأراد ان يحتال لتحقق ذلك ، وفاجأ حبيبا بأن قال له : « أليس غريبا ان تجيء الي اليوم على غير المعتاد ، فتجدني في هذه الحال ؟ فهل

ترى كان مجيئك اتفاقا ، ام ان قلبك حدثك بأنى مريض ؟ »

فقال حبيب : « الواقع انى لم يخطر ببالى ان تكون مريضا ، وقد فارقتك آمس عند عودتنا من رحلة الاهرام وانت فى عافية وسرور ، وقد جئت اليك اليوم مصادفة ، معتقدا انى سأجدك معافى مسرورا كما تركتك »

ولم يشأ ان يذكر سبب مجيئه ، لئلا يقوده الحديث الى ذكر سلمى لعلاقتها بادما فيثير بذكرها اشجان صديقه المريض

ولكن تكتمه هذا رجح ظن سليم ، اذ كيف يمكن ان يكون مجيئه لزيارته فى غرفته مصادفة ، مع علمه بانه لا يكون بها فى مثل الوقت الذى جاء فيه ؟ . وعلى هذا وقر فى ذهنه ان حبيبا يحتال عليه ولم يصدقه ، ولكنه تجاهل وكظم عواطفه مؤثرا الصمت

وفى الساعة الثالثة بعد الظهر احس حبيب بالجوع ، فاستأذن سليما فى الانصراف ، ومضى الى احد المطاعم فتناول غداءه وفكره ما زال مشغولا بامر صديقه وخطيبته . وأخيرا راى ان يتوجه الى منزل الخواجة سليمان لعله يستطيع الوقوف على بعض ما غمض عليه من امر سلمى وسليم ، وكيف وصل اليها كتاب والدته اليه

واستقبلته الاسرة مرحبة ، ولكنه لم ير سلمى بينهم فسألهم عنها فقالت والدتها : « انها شعرت ببعض التوعك هذا الصباح ، فبقيت فى الفراش » . فاكتفى بأن تمنى لها عاجل الشفاء ، ولم يذكر اى شىء عن سليم لئلا يشغل بالهم عليه . وبعد ان قضى عندهم بعض الوقت ودعهم وانصرف الى محطة الى باب اللوق حيث استقل القطار الى حلوان ، عائدا الى منزله ، فاستقبلته والدته ولاحظت على وجهه آثار الانقباض ، فقلقت وخافت ان يكون لذلك سبب يتعلق بادما ، فابتدرته بالسؤال عن سبب انقباضه ، فلما اخبرها بأن صديقه سليما مريض ، سألته فى لهفة : « وماذا به يا ولدى شفاه الله وعافاه ؟ »

فقال : « اصابته الحمى ، وقد خفت حدتها قليلا والحمد لله حين فارقته منذ قليل »

قالت : « هل تركته وحده فى غرفته ؟ »

فقال : « نعم يا اماه وهذا ما يقلقنى عليه ، اذ ليس عنده من يقوم بخدمته »

قالت : « كيف تتركه وحده وهو غريب لا اهل له فى القاهرة ، ولو ان والدته علمت بمرضه لسارعت اليه كى تخدمه وتمرضه ، ولكنها بعيدة عنه وا اسفاه ! »

قال : « لا شك انها لو علمت بمرضه لجاءت من الاسكندرية على عجل ، ولكن لا داعى لازعاجها بنبأ مرضه ، وعلينا نحن قياما بواجب الصداقة ان ننظر فى امر خدمته وتمريضه حتى يتم شفاؤه باذن الله »

قالت : « صدقت يا بنى ، هذا واجب علينا ، وارى اذا عاودته الحمى غدا ان ندعوه ليقيم معنا بضعة ايام ريثما ينقه منها »

قال : « غدا اذهب اليه لتدبير الأمر والاتكال على الله »

قالت : « سأذهب معك ليطمئن قلبى عليه ، فهو بمثابة ولدى . لكن هل علمت اسرة الخواجة سليمان بمرضه ؟ »

قال : « لا ، وكنت عازما على ابلاغهم ذلك ، لكنى وجدت سلمى مريضة ايضا فلم اخبرهم به خشية اشتداد مرضها ، لأنها مخطوبة له كما تعلمين ، وهى تحبه محبة عظيمة »

قالت : « اذن نذهب اليه نحن غدا كما اتفقنا »

كانت الخادمة العجوز سعيدة قد ادركت فى الأيام القليلة التى عاشرت فيها سلمى انها عزيزة النفس ابيتها ، لا ترضى بالذل ولا تحب التزلف ، وايقنت انها اذا اطلعت على ما كتبته والدة سليم اليه فى شأنها فلا بد من ان تضحى بقلبها فى سبيل الابقاء على محبة امه له ورضاها عنه

وكانت قد عرفت مضمون الكتاب قبل مجيئها من الاسكندرية ، لان سيدتها وردة هى التى كانت تتولى امر كتابة الخطابات الى سليم على لسان والدته ، بوساطة داود . وقد اجتمعت بهذا فى القاهرة فأخبرها بما فعله مع سليم ، واعتقدت ان الطريق قد مهد للتفريق بينه وبين

سلمى . ثم انتهزت فرصة تنظيفها معطف سليم حين وجوده فى المنزل عقب رحلة الاهرام ، وسرقت منه خطاب والدته لكى تطلع سلمى عليه ، ثم ذهبت بالخطاب الى غرفة سلمى والقته خفية بجانب سريرها . فلما اوت اليه سلمى بعد العشاء ، لمحت الخطاب فتناولته وقراته ، وادركت أنه سبب كدر سليم . وقضت ليلتها مسهدة تفكر فى امره ولا تدرى ماذا تفعل ، ثم غلبت عليها طيبة قلبها وعزة نفسها ، فكتبت الى سليم ذلك الخطاب الذى أحلته فيه من خطبتها ، وبعثت به مع خادمتها سعيدة

على انها شعرت بالندم على تسرعها بكتابة ذلك الخطاب ، وحدثتها نفسها بأن تنادى سعيدة وتأخذه منها ، ولكن هذه كانت قد توارت عن نظرها . فشق عليها الأمر وازداد قلقها ، لانها كتبت الخطاب وهى شديدة التأثر ، فلما خف تأثرها اخذت تلوم نفسها على كتابة تلك العبارات ، وكلما تصورت انها ضحت بسعادتها وآمالها فى المستقبل بحرمانها من سليم شعرت بأبلغ الأسى والاسف ، وارتعدت فرائصها وبكتها ضميرها ، فأصبحت من جراء ذلك دائمة القلق خائرة القوى ، فلازمت الفراش تسكينا لما بها واخفاء لعواطفها ، ولكن أعتكافها اقلق والديها لانها وحيدتهما ، وكانا الى شدة محبتهما لها معجبين بذكائها ولطفها ، وما كانا ليقبلا خطبة سليم لها لولا ما لمساه من محبتها له ، ومن اتصافه بالشهامة وكرم النفس والاستعداد لمستقبل عظيم

□

بكر حبيب فى اليوم التالى فاستقل اول قطار غادر حلوان الى القاهرة ، وما وصل اليها حتى اخذ طريقه الى غرفة سليم ليعوده ويطمئن عليه قبل الذهاب الى الديوان

ووجده مستيقظا فى فراشه ، وعلى وجهه آثار الضعف والهزال ؛ فحياه وجلس بجانبه يواسيه ويرفه عنه بمختلف الاحاديث الى ان قال له : « لقد أسفت والدتى كثيرا حين علمت بمرضك ، وكانت

تعتزم المجيء معى الآن لتراك وتطمئن عليك ، ثم اتفقت معها على ان آتى بها بعد الظهر »

فقال سليم : « جزاها الله خيرا ، لا داعى لتعبها »

ولاحظ حبيب ان فى نظرات سليم وعباراته ما ينم عن التبرم والجفاء ، فعجب من ذلك ثم عزاه الى اضطراب سليم وقلقه بسبب المرض والوحدة ، وواصل ملاطفته ومواساته قائلا : « انك اليوم احسن حالا منك أمس ، ولعلك سعدت بنوم عميق هنىء »

فتنهد سليم اسفا وقال : « لم انم الا فترات قصيرة متقطعة ، تخللتها احلام مزعجة . وقد أرسلت الخادم منذ قليل ليأتينى بمسهل اتناوله اليوم ، كما أوصيته باعداد بعض المرق لاتغذى به »

فقال حبيب : « حسنا فعلت يا عزيزى ، وارجو ان اراك بعد الظهر وقد تم لك الشفاء » . ثم اعطاه بعض الصحف ليتسلى بمطالعتها ، وودعه منصرفا الى مقر عمله

فلما خلا سليم الى نفسه ، عادت اليه هواجسه فى شأن سلمى ، وود لو يعلم حالها بعد ان بعثت اليه بخطابها الاخير ، وكأن قلبه دله على انها مريضة مثله . ثم تذكر ما كان فيه من النعيم بقربها ، وما آلت اليه حاله فلم يتمالك عواطفه وغلبه البكاء . وما زال يطلق لدموعه العنان حتى عاد الخادم بالدواء المسهل ، وقرع باب الغرفة مستأذنا فى الدخول به ، فمسح سليم عينيه واذن له فى الدخول ، ثم تناول منه الدواء وشربه ، واخذ يتشاغل بمطالعة الصحف التى تركها له حبيب ، بينما انصرف الخادم لاعداد المرق الذى طلبه

وفى الساعة الاولى بعد الظهر ، عاد اليه حبيب فوجده ممددا فى سريره ، وجس يده فاذا بنبضه يتسارع وحرارته عادت الى الارتفاع ، فادرك ان الحمى عاودته ولا تلبث ان تشتد وطأتها كأمس ، لكنه تجاهل وساله : « كيف حالك الآن يا عزيزى ؟ »

فقال سليم بصوت ضعيف : « كنت فى الصباح احسن حالا منى الآن »

فأخذ يغالطه ناسبا ذلك الى تأثير المسهل الذى تناوله ، ثم قال له : « ان هواء حلوان نقى جاف منشط ، ويا حبذا لو ذهبت معى

للاقامة معنا اياما هناك لتبديل الهواء »

فاعتذر سليم من عدم استطاعته ذلك شاكرا ، وقال : « لا داعى الى مغادرة الفراش والانتقال الآن » . ثم اصر على الامتناع برغم الحاح حبيب ، فراى هذا ان لاسبيل الى اقناعه الا بان ياتى اليه بوالدته لتتولى اقناعه بنفسها . فاستاذن فى الانصراف ، وسارع الى منزله فى حلوان مستقلا قطار الساعة الثانية بعد الظهر ، حيث انبأ والدته بما حدث ، فوافقته على الذهاب معه لاحضار سليم ، وبعد ان تناولا الغداء ، غادرا المنزل الى المحطة حيث استقلا القطار الى القاهرة ، فوصلا الى غرفة سليم وقت الاصيل ، وكانت الحمى قد اشتدت وطأتها عليه فأخذ يئن ويتوجع

وما راته والدة حبيب فى هذه الحالة حتى تناثرت الدموع من عينيها حنانا واشفاقا ، فمالت عليه وقبلته قائلة : « لا باس عليك يا ولدى » . ثم اخذت تواسيه وتهون الامر عليه

ولم يتمالك سليم عواطفه ازاء حنانها وعطفها ، اذ تذكر والدته فاخذت الدموع تنهل من عينيه ، وتمتم قائلا : « آه يا اماه ! »

فازدادت والدة حبيب تأثرا ، وانحنت عليه وهى لا تستطيع امساك دموعها ، واخذت تمسح العرق المتصبب من وجهه قائلة : « انت بخير يا ولدى ، فاطمئن وثق بانى لك كوالدتك ، فانت منى بمنزلة حبيب »

فاشتد هياج اشجان سليم ، وامعن فى البكاء برغم محاولته التجلد ، وود لو انه لم يفارق والدته ، ولم يعرف الحب الذى اقصاه عنها وحملها على اتهامه بالعقوق . بينما واصلت والدة حبيب تهدئة روعه . اما حبيب فلم يتمالك عن البكاء هو الآخر ، لكنه حول وجهه عن سرير صديقه حتى لا يلحظ بكاءه فتزداد اشجانه

واخيرا مالت والدة حبيب على وجه سليم وقبلته قائلة : « انى اسألك بحق والدتك عليك ان تكف عن البكاء ، وان تذهب معنا الى حلوان ، فمنزلنا هو منزلك ، وكلنا فى خدمتك حتى يتم شفاؤك قريبا باذن الله »



وقالت والدة حبيب لسليم : « اطمئن وثق بأنى لك كوالدتك ، فأنت منى بمنزلة حبيب »

وحاول سليم أن يرد عليها ، فخنقته عبراته ولم يستطع التكلم ، اذ تذكر ان والدته غير راضية عنه . ثم استطاع التجلد قليلا بعد حين وقال وكأنه يحدث نفسه : « اننى أستحق هذا الذى انا فيه ، بل استحق اكثر منه ، فهكذا يكون جزاء العقوق ونكران الجميل »

فعجبت والدة حبيب ، ولم تفهم مراده لخلو ذهنها مما بين سليم ووالدته . وخشى حبيب أن تلح والدته فى سؤال سليم عن مراده فيصرح لها هذا بسره الذى يحرص على كتمانه . فأشار اليها بأن تكف عن الحديث مع سليم لأنه فى بحران الحمى . ثم قال لها : « سأذهب الآن لأحضر طبيبا يفحصه ويقرر ما ينبغى له من العلاج ، فامكثى انت بجانبه ريثما اعود »

ثم غادر الفندق على اثر ذلك ، وتوجه الى اقرب طبيب من هناك ودعاه الى مرافقته لفحص سليم وعلاجه ، وفى طريقهما الى الفندق طلب اليه حبيب ان ينصح لسليم بتبديل الهواء فى حلوان ، ليقيم بمنزله هناك لأنه غريب عن القاهرة ، فوعده الطبيب بذلك . وبعد أن فحص سليما قال له : « لا خوف عليك من هذه الحمى ، ويكفى لشفائك منها ان تلتزم الراحة وتبدل الهواء بالاقامة فى مكان جوه جاف . ومع هذا سأصف لك دواء يعاونك تناوله على سرعة الشفاء »

فسأله سليم : « هل ترى ان لابد لى من تبديل الهواء والانتقال من هنا ؟ »

فقال الطبيب : « نعم لابد من ذلك ، ويحسن ان تقصد الى حلوان لجودة هوائها وهدوئها . على أن يكون انتقالك اليها بعد زوال نوبة الحمى »

فسكت سليم موافقا وهو يقول لنفسه : « لا بأس باقامتى اياما بمنزل حبيب فى حلوان ، فلعلى استطيع هناك الوقوف على شىء يكشف لى حقيقة علاقته بسلمى . وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم »

وبقى حبيب ووالدته مع سليم فى غرفته حتى انقشعت عنه نوبة الحمى ، ثم ساعده حبيب فى ارتداء ثيابه ، وبعث فى طلب عربة

مغلقة لنقله فيها الى المحطة لركوب القطار منها الى حلوان . ومازال هو ووالدته يتعاونان على خدمته والمحافظة عليه من البرد حتى وصلوا الى المنزل ، وخصصوا لاقامته أحسن غرفة فيه . وتنافس حبيب ووالدته وشقيقته فى الترحيب به وتعهده بالغذاء والدواء والغطاء ، حتى داعب النوم جفنيه وما لبث ان غط فى نوم عميق ، ولم يستيقظ الا فى الصباح ، وقد شعر بانه استرد بعض قواه ، وتحسنت حالته

□

أمضى حبيب ليلته مسهدا يفكر فى أمر صديقه سليم بعد ان اطمأن عليه وتركه نائما . وهداه تفكيره الى ان يسافر بنفسه الى الاسكندرية فيقابل والدة سليم ويشرح لها امره ، فلا بد ان قلبها سيرق لفلذة كبدها حين تعلم بأنه مريض . وقد يكون غضبها وانكارها عليه خطبة سلمى تأثرا بوشاية بعض الحساد ، فيسهل اقناعها بالعدول عن رايها وتحقيق رغبة سليم . وبذلك يكون قد ادى له خدمة جليلة

ثم تذكر حبيب ان اليوم التالى يوم جمعة ، فاغتبط كثيرا لان خلوه من العمل فى هذا اليوم مما يسهل أمر سفره الى الاسكندرية

وفى صباح اليوم التالى ، خلا الى والدته وانبأها بما اعتزمه من امر السفر والغرض منه ، واوصاها بأن تكتم ذلك عن سليم كل الكتمان ، ثم صحبها لرؤيته فى غرفته فوجداه مضطجعا فى سريره وعليه دلائل البشر والعافية ، فاغتبطا بذلك وجلسا بالقرب منه يلاطفانه ويسليانه بمختلف الاحاديث

وبعد قليل ، نهض حبيب وغادر الغرفة مشيرا لأمه بطرف عينيه انه مسافر فى المهمة التى اتفقا عليها ، فلحقت به وودعته داعية له بالسلامة والتوفيق . ثم عادت الى سليم فى غرفته ، ولحقت بها ابنتها شفيقة . وجلستا تجاذبانه الحديث وتقدمان له ما يحتاج اليه من الطعام والشراب والدواء

ومضت ساعة وسليم يبدو باسم الثغر منشرح الصدر ، ثم تجهم وجهه فجأة وظهرت عليه دلائل الانقباض الشديد ، اذ تذكر خطاب والدته وحكاية داود عن سلمى وحبيب . على انه ما لبث ان تجلد وتكلف الابتسام حتى لا ينكشف أمره امام مضيفتيه ، ثم تظاهر بالتلفت حوله وسأل : « اين حبيب ؟ »

فانطلت عليهما حيلته ، وقالت ام حبيب : « سيكون هنا بعد قليل ، فقد ذهب الى القاهرة لانجاز بعض المهام »

فعجب سليم من ذهاب حبيب الى القاهرة دون ان يخبره ، وعاودته الهواجس فخيل اليه ان لذهاب حبيب الى القاهرة علاقة بسلمى ، ولا سيما ان اليوم يوم جمعة والاعمال معطلة فى دور الحكومة ، وكان المنتظر ان يبقى معه طول اليوم لو انه كان مخلصا فى صداقته له وليس متواطئا مع سلمى عليه

واشتدت به الوساوس حتى اعتقد ان حبيبا مادعاه الى الاقامة بمنزله فى حلوان ، الا ليبعده عن القاهرة ، فيخلو جوها لسلمى وله ويتساقيان كؤوس حبهما الآثم وهما آمنان مطمئنان !

ولاحظت والدة حبيب ان غيابه أقلق سليما وازعجه الى حد ملحوظ ، فأرادت ان تشغله عن ذلك والتفتت الى ابنتها وقالت لها : « هلا احضرت يا شفيقة كتابا أو رواية لطيفة مما عند حبيب لكى يتسلى عزيزنا سليم بالمطالعة اذا شاء ؟ »

فنهضت شفيقة وخرجت من الغرفة ثم عادت بعد قليل وقالت وهى تشير الى بضعة مفاتيح صغيرة فى سلسلة بيدها : « الحمد لله لقد وجدت كل كتب حبيب ورواياته فى خزانته الخاصة التى يحرص دائما على اغلاقها والاحتفاظ بمفاتيحها معه . لكنه لحسن الحظ لم يرتد معطفه ، وهذه هى وجدتها فيه ، فأى انواع الكتب او الروايات احضرها ؟ »

فالتفتت والدتها الى سليم وسألته : « الا تحب مطالعة القصص ؟ »

فقال : « لا بأس ففى مطالعتها تسلية » . قال هذا وهو يجاهد لاخفاء ما به

فهرولت شفيقة الى خزانة كتب حبيب ، ثم عادت بعد قليل وفى يدها رواية افرنجية وقالت : « لابد من ان تكون هذه الرواية جميلة مشوقة ، فمنذ اسبوع رأيتها فى يد حبيب يطالعها فى شغف عظيم ، وأمضى ليلة كاملة ساهرا فى غرفته حتى أتم قراءتها »

فقالت والدتها : « وانا ايضا رأيته مشغولا بقراءتها عند فجر تلك الليلة »

فتناول سليم الرواية ، واخذ يقلب صفحاتها متظاهرا بالمطالعة . وخرجت شفيقة وامها من الغرفة ليتركا سليما يطالع الرواية فى هدوء ، ويشرفا على شئون البيت

□

اخذ سليم يقلب صفحات الرواية ، وفكره مشغول بسفر حبيب الى القاهرة على غير انتظار ، وفيما هو فى ذلك وقعت عينه على ورقة مطوية بين الصفحات ، وما كاد يتأملها حتى لاحظ انها مكتوبة بخط يشبه خط سلمى ، فازداد اشتعال نار الغيرة فى قلبه ، وتصور حبيبا جالسا مع سلمى يتبادلان احاديث الحب والهيام ، فندم على مجيئه الى منزله . ثم اخذ يقرا مافى الورقة ، وهو يختلس النظر الى باب الغرفة محاذرا ان يراه أحد وهو يقرؤها . فاذا بها حافلة بعبارات الحب والاشتياق والصبابة . فلم يبق لديه شك فى خيانة سلمى وحبيب ، وتحقق صحة ما سمعه عنهما من داود ، فاشتد خفقان قلبه ، واخذ ينتفض فى سريره كأنما عاودته الحمى . ثم لم يتمالك عواطفه فقفز من السرير ثائرا ، واخذ يخطر فى جوانب الغرفة قلقا حائرا مضطربا ، والورقة فى يده يعاود قراءتها ويناجى نفسه قائلا : « تبا لها من خائنة ماكرة محتالة ! بل تبا لى من مغفل ساذج اذ انطلت على حيلتها فاعتقدت انها ملاك طاهر ، فى حين انها لست سوى شيطان رجيم »

وسكت قليلا اذ سمع وقع اقدام خارج الغرفة ، فلما ابتعدت

الاقدام ، استأنف مناجاته لنفسه قائلا : « اهذه هى المحبة الطاهرة التى كانت تستحلفنى بها ؟. اهذا جزاء اخلاصى ووفائى وعقوقى لوالدتى فى سبيل حبك يا سلمى ؟.. لقد طالما كذبت ما سمعته عنك ، وعاينت فى ذلك مالا طاقة به لقلبى ، حرصا على مودتك ، وايمانا بطهارتك وعفتك ووفائك . ولكن آه !. هاانذا الآن قد تحققت صحة اتهامك ، ولمست خيانتك ، وانى لاشكر الظروف التى هيأت لى الوقوف على ذلك ، لانبذك نبذ النواة يا خائنة »

ثم عاد الى تأمل الورقة ، فلاحظ اختلافا يسيرا بين خطها وخط سلمى . لكنه هز راسه مستخفا بهذه الملاحظة ، وعاد يقول : « انه خطها ماق ذلك شك ، ولكنها كتبت هذه الورقة منذ عهد بعيد ، اى ان حبها الآثم لحبيب ليس جديدا ، وقد استطاعا خداعى والتمويه على كل هذا العهد الطويل . على انى لا الومه بقدر ما الومها على ذلك . لانى ملكتها قلبى ووهبتها روحى واغضبت لاجلها والدتى المسكينة .. آه يا والدتى !. اين انت الآن . الا رحماك بولدك المسكين ، واصفحى عنه ، فقد كفى ما لقيه من الحزن والمرض وخيبة الآمال ، جزاء عقوقه لك ، وركونه الى وعود فتاة خادعة محتالة ، والى نفاق عدو فى ثياب صديق ! »

ولاح له ان يبادر بارتداء ثيابه ويغادر المنزل فورا ليستقل القطار الى القاهرة ، ثم يستأنف السفر منها الى الاسكندرية حيث يقابل والدته ويقبل يديها مستغفرا نادما . لكنه شعر بأنه فى حالة من المرض والتعب لا يقوى معها على السفر ، وقد تعاوده الحمى وهو فى الطريق فيحدث مالا تحمد عقباه . فلم يتمالك نفسه واستلقى على السرير آخذا فى البكاء لفرط يأسه وغيظه واساه

وفيما هو كذلك ، دخلت عليه والدة حبيب ، وهى تحمل فى يدها اناء فيه شىء من مرق اللحم اعدته له . فبالغ بالتدثر بالغطاء متظاهرا بأنه شعر بالبرد حتى لا تلاحظ عليه شيئا ينم عما هو فيه . فحسبته نائما ووقفت بازاء السرير ثم اخذت تدعوه باسمه متلطفة ، فمسح دموعه عن وجهه قبل أن يكشفه متظاهرا بالاستيقاظ

من النوم ، والتفت اليها وهو مازال ممددا فى الفراش ، فقالت له : « لقد حان وقت الظهر يا ولدى ، ويحسن أن تتناول قليلا من المرق »

فقال لها : « شكرا لك يا سيدتى ، لا حاجة لى بأى طعام الان »

فقالت : « ان الطبيب اشار بأن تتناول شيئا من المرق ، لأنه يعاون على استرداد قواك »

فاكتفى بأن اشار اليها بيده مصرا على الرفض ، ولكنها لم تيأس من اقناعه ، ووضعت الاناء الذى تحمله على المنضدة المجاورة للسرير ، ثم انحنت عليه واخذت تربت وجهه متلطفة وقالت له فى حنان : « ان المرق خفيف على المعدة ، وسيفيدك تناوله فائدة كبرى باذن الله »

فتململ فى مرقده ضجرا ، ولم يتمالك نفسه فقال لها : « لماذا لم يعد حبيب حتى الآن ؟ اليس اليوم يوم الجمعة ولا عمل له فى القاهرة ؟ »

فقالت : « لقد اخبرنى بأنه ذاهب فى مهمة خاصة ، ولعل بعض زملائه اخروه هناك كى يتغدى معهم ، ولا يلبث ان يعود الينا بعد قليل »

فحدثته نفسه بان يرد عليها قائلا : « بل هو الآن مع سلمى » . لكنه امسك وسكت . فعادت هى الى حمل اناء المرق بيدها ، وقدمته له قائلة : « بالله يا ولدى الا قبلت رجائى وتناولت هذا المرق الخفيف » . ثم مدت يدها الاخرى اليه بالملعقة ، فلم يسعه الا ان يمد يده لتناولها من يدها متأثرا بعطفها وحنانها ، ثم هم بالنهوض ليتناول الاناء من يدها الاخرى ، وما كاد يحمله بعد ان استوى جالسا حتى ارتجفت يده واهتز الاناء فانسكب جانب من المرق على حافة السرير ، فاحمر وجهه خجلا واسفا . لكن السيدة سارعت الى تهدئة خاطره قائلة : « لا بأس يا ولدى » . ومسحت حافة السرير المبتلة بالمنشفة ، وجاءته بمنشفة اخرى

وضعتهـا على ركبتيه ، وقالت : « بالهنـاء والشـفاء يا ولدى ، سآتيك بقطعة صغيرة من اللحم المشوى لتتغذى بهـا وفق مشورة الطبيب »

فحاول ان يعتذر من عدم استطاعته تناول اى طعام آخر ، لـكنها سرعان ما انطلقت الى المطبخ ثم عادت وهى تحمل اناء به بعض اللحم المشوى ، فوضعته على المنضدة . ثم فتحت خزانة بجانب السرير واخرجت منها ملاءة بيضاء نظيفة لتضعها على السرير بدلا من الملاءة المبتلة بعد ان يفرغ سليم من تناول الطعام . ولم تتركه حتى شرب المرق وتناول شيئا من اللحم ، فأبدلت ملاءة السرير ، وبقيت بجانبه تسليه وترفه عنه بالاحاديث حتى راته يغمض جفنيه وكأن النوم يداعبه ، فنهضت وتسللت خارجة من الغرفة تاركة اياه لينام

على انه فى الحقيقة لم يكن يريد النوم ، بل تظاهر بذلك كى يخلو الى نفسه ، ويعاود التفكير فى امر سفره الى والدته ، وفى امـر سلمى وحبيب . وكلما مضت ساعة دون ان يرجع هـذا من القاهرة ، اشتدت الغيرة بسليم ، وهاج حنقه عليه وعلى سلمى ، حتى ان نفسه حدثته اكثر من مرة بأن ينهض ويغادر المنزل كى يستقل القطار الى القاهرة ويفاجئهما فى خلوتهما هناك ، ثم ينتقم منهما شر انتقام

ولما جاء المساء دون ان يرجع حبيب ، لم يعد سليم يقوى على تحمل ما يساوره من الوساوس والهموم . وكان الى ذلك يشعر بأنه اشد تعبا وتخاذلا منه بالامس ، ويتوقع أن تعاوده الحمى اشد مما كانت . وعبثا حاولت شفيقة ووالدتها ان ترفها عنه ، وضاق هو بمحاولتهما فتظاهر بحاجته الى النـوم ، حتى اضطرهما الى تركه وحده

فى الاسكندرية

وصل حبيب الى الاسكندرية بالقطار السريع الذى يصل اليها فى الساعة الاولى بعد الظهر ، فاستقل عربة توجه فيها من فوره الى منزل والدة سليم فى شارع المسلة . وكان يعرفها من قبـل وبينه وبين ابنها فؤاد شقيق سليم صداقة ومحبة ، وسبق له ان زار المنزل اكثر من مرة وهو يصطاف فى الاسكندرية

ولما بلغ المنزل وطرق الباب ، فتحته له سيدة لا يعرفها متوسطة العمر مكتنزة الجسم تنم ثيابها وزينتها عن الغنى وحب الظهور . فلمـا وقـع بصره عليهـا حسب انه اخطـأ المنزل او ان من كانوا فيه انتقلوا منه الى غيره . فاعتراه الخجل وقال للسيدة التى استقبلته متلعثما : « اليس هنا مسكن الخواجة فؤاد ؟ »

قالت : « نعم . ولـكنه ليس هنا الآن » . وظهرت على وجهها امارات الارتباك

فقال حبيب : « وهل السيدة والدته غائبة ايضا ؟ »

فقالت : « لا يا سيدى بل هى هنا » . ثم تنحت عن الباب ودعته الى الدخول ، فدخل مترددا وجلس فى حجرة الاستقبال ، بينما مضت السيدة لتدعو والدة سليم

وبعد قليل ، سمع وقع اقدام خارج الحجرة ، ثم دخلت عليـه والدة سليم وهى فى ثوب بسيط ووجهها يفيض بالتقى والورع وان بدا فيـه شىء من الانقباض . وما كادت تراه حتى عرفتـه فترقرقت الدموع فى عينيها ، وهمت به مرحبة فضمته وقبلته قائلة : « اهلا وسهلا بولدنا العزيز حبيب »

فقبل يدها وهو يغالب البكاء تأثرا بلطف استقبالها اياه ، ولمـا ادرك من أن سبب بكائها هو تذكر ولدها سليم . لـكنه تجلد

وتجاهل وسألها : « كيف حالك يا سيدتى ، وكيف حال اخى فؤاد وبقية الاسرة ؟ »

فقالت : « كلهم بخير ، والحمد لله على سلامتك » . ثم تنهدت واردفت قائلة : « وكيف حال سليم ، ولماذا لم يأت معك ؟ »

فارتبك حبيب قليلا ثم اجاب بقوله : « هو بخير والحمد لله ولا ينقصه غير مشاهدتكم . وقد جئت الى الاسكندرية فجأة قبل ان اقابله ، ولولا ذلك لجاء معى »

فتنهدت مرة اخرى واطرقت ولم تجب

وادرك حبيب سر اطراقها وسكوتها فازداد ارتباكه ، ولم ينقذ الموقف الا دخول السيدة التى فتحت له الباب ، وقد وضعت قبعتها على راسها متهيئة للخروج ، وقالت لأم سليم : « اسمحى لى ان انصرف الآن ، اذ لابد لى من ذلك . وسأتمم الامر الذى اتفقنا عليه نيابة عنك ، فكونى مطمئنة »

فقالت والدة سليم : « بورك فيك يا عزيزتى ولا حرمنا الله من فضلك » . ثم نهضت وودعتها حتى الباب الخارجى ، وعادت بعد ذلك الى حبيب ، واخذت تكرر تحيته والترحيب به الى ان قالت : « لعلك قادم من السفر الآن فقط ؟ » . فقال : « نعم . وقد جئت من المحطة اليكم راسا »

فسكتت واطرقت مفكرة ، كأنها تحاذر أن تقول شيئا . ثم رفعت راسها فاذا بالدموع تنهمر من عينيها ، وقالت : « وماذا صنع سليم مع فتاته واهلها ؟ »

فتجاهل وقال : « اية فتاة يا سيدتى ؟ »

فقالت : « الفتاة التى احبها وكتب الى بأن اوافيه فى القاهرة لاتمام خطبتها »

فقال وهو يجاهد لاخفاء ارتباكه : « وهل اعتزمت اجابة طلبه ؟ »

قالت : « كلا ، بل كتبت اليه بأنى غير موافقة على خطبة تلك الفتاة »

فقال : « ولماذا ؟. هل عرفت الفتاة من قبل ؟ »

فتنهدت وقالت : « لم ارها ولا احب ان اراها ، وكفى ما سمعته عنها ممن عرفوا دخائلها ووقفوا على سيرتها . ولولا ان قيضهم الله لاخبارى بأمرها وامر اسرتها فى الوقت المناسب لانسقت مع سليم فى تيار خداعهم واحتيالهم »

فأدرك حبيب صدق ما ظنه من ان عدم موافقتها على خطبة سلمى لسليم لم يكن الا لوشايات كاذبة ، واراد ان يعرف من هم اصحاب هذه الوشايات فقال لها : « لكن يا سيدتى أنت تعرفين تعقل سليم وانه ليس ممن يخدعون بسهولة . فلعل ما سمعته عن الفتاة واهلها من سواه غير صحيح »

فقالت : « كلا يا بنى ، ان السيدة وردة التى رأيتها هنا الآن هى التى تفضلت مشكورة فكشفت لى حقيقة ذلك الامر ، وهى سيدة عريقة الاصل وتحبنا محبة صادقة ، ولولا تعزيتها لى وملازمتها اياى منذ وقع الجفاء بينى وبين سليم بسبب تشبثه بخطبة تلك الفتاة ، رغم نصحى له بتركها ، لقضيت حسرة وغما »

وكان حبيب قد نفر قلبه من وردة منذ وقع نظره عليها وهى تفتح الباب له ، لما لاحظ عليها من التبرج والخلاعة . فأدرك انها سبب كل ما حل بسليم وسلمى من الشقاء ، وانها لابد قد رمت بوقيعتها ونميمتها الى غرض خاص . ثم اراد ان يتحقق ذلك فقال : « هل السيدة وردة هذه من القاهرة ؟ »

فقالت : « انها تقيم بالاسكندرية منذ سنين ، ولكنها تعرف كثيرا من العائلات فى القاهرة ، ولها املاك هناك ورثتها عن المرحوم زوجها هى وابنتها الوحيدة » . قالت ذلك وتنهدت . فرجح حبيب ان وردة سعت فى افساد علاقة سليم بسلمى ، لكى تزوجه بابنتها ، وقال لوالدته : « هل ابنتها هذه متزوجة ام لم تبلغ سن الزواج بعد ؟ »

فعادت والدة سليم الى التنهد ، وقالت : « هى شابة فى غاية من الجمال والكمال ، وقد خطبها كثيرون من ابناء العائلات الكبيرة الغنية ، لكن والدتها كانت عند حسن ظنى بصداقتها واخلاصها لنا فلم تقبل احدا منهم »

فتحقق حبيب صدق ظنه ولـكنه تجاهل ، وقال : « ولماذا لم تقبل زواج ابنتها من اولئك الشبان الاغنياء ابناء العائلات الكبيرة ، وما علاقة هذا بصداقتها واخلاصها لـكم ؟ »

فقالت : « لا اخفى عليك انها كانت قد تفضلت ووعدتنى بقبول سليم زوجا لابنتها . وانت تعلم ان سليما ليس له ايراد الا ما يأتيه من عمله فى المحاماة ، وهو ما زال مبتدئا فيها . فزواجه من اميلى ابنة السيدة وردة يجعله صاحب التصرف فى ثروتهما الكبيرة فيريحه هذا من عناء الاهتمام بأمر المعيشة ويصبح من الوجهاء . وقد كنت معتزمة مخاطبته فى هذا الامر بعد أن تحققت محبة الفتاة ووالدتها له . ولـكنه فاجأنا بأمر تعلقه بتلك الفتاة الاخرى التى وقع فى حبائلها . وكتبت اليه محذرة منذرة لـكى يقطع صلته بها مبينة له ما علمته عن سيرتها السيئة ودناءة اصلها . لـكنه وا اسفاه لم يستمع لنصحى وتحذيرى ، ونسى جهادى فى سبيل تربيته واخلاصى فى السعى لاسعاده ، وقد آليت على نفسى الا ارضى عنه ما لم يرجع الى رشده ويترك تلك الفتاة ، ويقترن باميلى التى لن يظفر بزوجة فى مثل جمالها وعراقة اصلها وغناها ، فضلا عن اتفاقى مع والدتها على ذلك ورفضها عشرات الخطاب الآخرين مراعاة لهذا الاتفاق »

فقال حبيب : « أرجو أن تصغى جيدا لما سأقوله يا سيدتى ، وان تحكمى عقلك لا عاطفتك . فالامر جد خطير كما سأبين لك »

فدققت النظر اليه مندهشة ، وقالت : « انى مصغية اليك ياولدى ، فقل ما تريد »

قال : « انك ارتبطت مع صديقتك السيدة وردة فى شأن خطبة ابنتها لسليم دون أن يعلم بشىء من ذلك . وكما انك تستنكفين الا تتم هذه الخطبة ، لاشك فى انه يستنكف الا يفى بوعده للفتاة التى احبها ، ولاسيما انه ارتبط بوعده لها وهو لا يعلم شيئا مما اتفقت عليه فى شأن الفتاة الاخرى »

فقالت : « لقد كتبت اليه بما علمته من امر الفتاة التى وقع فى

شراكها ، وكان عليه ان يستمع لمشورتى ، لانى امه ولا يمكن ان اشير عليه الا بما فيه خيره وسعادته »

قال : « لا اريد ان اقول : انك كتبت اليه بعد ان تمكن الحب من قلبه وصار من الصعب عليه أن يتخلص من ذلك الحب . ولـكنى اقول : ان صديقتك السيدة وردة لم تكن خالية من الغرض حين اوغرت قلبك على الفتاة التى احبها سليم ، فمن مصلحتها طبعا الا يستمر هذا الحب لـكى يتم ما اتفقتما عليه من زواج سليم بابنتها »

قالت : « ان اميلى جميلة مثقفة غنية وامامها عشرات الخطاب كما ذكرت لك ، وهم جميعا اغنى وأحسن مركزا من سليم . فلو ان صديقتى السيدة وردة كانت لا تبغى سوى مصلحتها ومصلحة ابنتها ، لانتهزت الفرصة وزوجتها من احد اولئك الخطاب الوجهاء الأغنياء . ولـكنها فى الواقع حرصت على مصلحة سليم ، وتعبت كثيرا فى سبيل انقاذه من تورطه فى حب فتاة القاهرة ، وهى التى تولت ارسال الخطابات اليه باسمى فى ذلك الشأن لانى لا اعرف الـكتابة . واسأل الله ان يجزيها عنا خير الجزاء فهى حقا مثال المروءة والوفاء »

كانت الخادمة قد جاءت بالقهوة وقدمتها لحبيب ، فشربها ثم قال لوالدة سليم : « اسمعى يا سيدتى ، انى مثلك لا اريد الا ما فيه الخير والسعادة لسليم . وما جئت من القاهرة اليوم الا لأبحث معك هذا الامر . وانا أؤكد لك ان كل ما سمعته عن الفتاة التى احبها فى القاهرة وسوء سيرتها ووضاعة اصلها ليس له من الصحة ادنى نصيب ، وانما هو محض كذب وافتراء ، فهى من اطهر الفتيات واطيبهن عنصرا ، ولم يحبها سليم الا لما لمسه فيها من الخلال الحميدة . وسأطلعك الآن على سر وقفت عليه مصادفة دون علم سليم ، وفيه ما يكفى دليلا على شرف تلك الفتاة وعزة نفسها ونبل اخلاقها »

فقالت : « ما هو هذا السر ؟ »

قال : « ان سليما لم يطلعها على الخطابات التى أرسلتها اليه فى شأنها ، أو أرسلتها اليه السيدة وردة باسمك . ولـكنها وقع فى يدها اتفاقا احد تلك الخطابات ، فعلمت انك غير راضية عنها ، وأنك لن ترضى عنه ان استمر فى علاقته بها ، فهل تعلمين ماذا صنعت بعد ذلك ؟ »

قالت : « لا اعلم طبعا ، فماذا صنعت ؟ »

قال : « كتبت اليه مؤكدة له أنها رغم شدة حبها اياه ، لايسعها قط ان تكون سببا لوقوع الجفاء بينه وبين والدته ، ولاسيما بعدما علمت منه بما عانيت فى سبيل تربيته . ولذلك أحلته من جميع العهود والوعود التى ارتبطا بها ، لتتيح له النزول عند رغبتك »

فعجبت والدة سليم من ذلك الامر وكادت الا تصدقه ، فقالت له : « أحق ما تقول يا حبيب ؟ »

فقال : « اقسم لك يا سيدتى ، انى لم اقل لك الا الحق ، فتصورى الآن كيف ضحت الفتاة بسعادة قلبها فى سبيل اعادة المياه الى مجاريها بينك وبين سليم ، ثم قارنى بين تضحيتها ونبلها وعزة نفسها ، وبين تهافت السيدة وردة على تزويج ابنتها من سليم ، رغم ما تزعمه من كثرة خطابها وأنهم جميعا من الوجهاء الأغنياء ، ورغم علمها بأنه يحب فتاة أخرى غير ابنتها »

فسكتت والدة سليم قليلا ريثما ادارت الامر فى ذهنها ، وقرا حبيب فى وجهها امارات التردد ، ثم قالت له : « الا يجوز ان تكون الفتاة قد كتبت اليه ذلك الخطاب امعانا فى المـكر والخداع ، لتبرهن له على شدة اخلاصها فى محبته ورغبتها فيما يسعده ويرضيه ، كى يزداد تعلقا وهياما بها ؟. لقد سمعت انهـا بارعة فى الحيلة والدهاء ! »

فقال : « ما هذا الذى تقولين يا سيدتى ؟.. ان المـكر والدهاء والاحتيال وما الى هذه الصفات لايمكن الصاقها بفتاة نقية طاهرة كهذه ، ضحت بسعادتها ومستقبلها حتى لا تفرق بين حبيبهـا ووالدته . وانما الاولى بهذه الصفات من تطلق لسانها بغير الحق

وتنهش أعراض الناس بالباطل ، لـكى تحقق اطماعها الخاصة »

فتنهدت واطرقت قليلا ، ثم رفعت راسها ومسحت بمنديلها دمعة ترقرقت فى عينيها ، وقالت : « اننى حائرة يا ولدى ، وقد زدتنى حيرة بما سمعته منك الآن . والحق انى كنت قـد يئست من اقناع سليم بترك الفتاة التى احبها . وخاطبت السيدة وردة فى ذلك حين جاءتنى اليوم ، فأشارت على بارسال خطاب آخر الى سليم ندعوه فيه الى الحضور الى هنا فى أقرب وقت ، لعلنا نستطيع اقناعه بالحديث معه وجها لوجه . وقد انصرفت على ان تتولى كتابة هذا الخطاب وارساله الى سليم بالنيابة عنى كعادتها ، واحسب انها اتمت هذه المهمة عقب خروجها »

فقال : « فلتكتب اليه ما شاءت ، فهو لن يحضر الآن »

فدهشت وسالته : « ولماذا لا يحضر ؟ »

قال : « لانه لا يستطيع ذلك بسببك يا سيدتى »

فازدادت دهشتها وقالت : « بسببى انا ؟.. لعله لايريد ان يرانى حتى لا يغضب حبيبته ؟! »

فقال : « كلا يا سيدتى ، ان لقاءك اعز امنية له ولاشك ، ثم هو لم يقابل الفتاة منذ تلقى خطابها الاخير ، ولو أنه كان لا يعنيه رضاك ، ما اتعب نفسه فى محاولته اقناعك بوجهة نظره وببطلان التهم التى وجهتها الى الفتاة . وقد كان فى استطاعته ان يعقد خطبتها رسميا قبل ذلك »

قالت : « اذن لعـله مشـغول ببعض القضـايا التى لا يمـكن تاجيلها ؟ »

فهز حبيب راسه اسفا وقال : « ليس هذا ايضا ما يمنعه من الحضور ، ولـكنه .. » . وسكت دون أن يتم عبارته

فاجفلت وتجلى القلق فى وجهها وقالت : « لعله مريض ؟ »

فقال : « نعم يا سيدتى هو الآن طريح الفراش ، ولـكن ليطمئن قلبك فلا خطر عليه ، وهو عندنا بمنزلنا فى حلوان ، ووالدتى وشقيقتى تتعهدانه بكل رعاية وعناية »

فلم تتمالك من النهوض من مقعدها ودقت صدرها بيدها فزعا

وجزعا وقالت باكية : « سليم ولدى مريض ؟ واحسرتاه ! »

فنهض حبيب ، وامسك بذراعيها داعيا اياها الى الجلوس قائلا : « لا داعى للجزع يا سيدتى ، فهو لا يشكو سوى حمى خفيفة اصابته بسبب كدره وحيرته بينك وبين خطيبته . وقد افاده الدواء الذى وصفه له الطبيب ولا يلبث اياما حتى يسترد عافيته كاملة »

فجلست اجابة لطلب حبيب ، ولكنها لم تنقطع عن البكاء والنحيب وهى تردد قولها : « سليم مريض ؟ آه يا ولدى العزيز » .

واخيرا نهضت فجأة وهى تقول : « هلم بنا الى القاهرة ، لاتؤاخذنى يا عزيزى حبيب فانت بمنزلة ولدى ، ولابد لى من السفر »

وسكتت هنيهة مفكرة ثم قالت : « لقد ذهب فؤاد وقرينته للغداء عند اسرتها . ولاشك فى انه سيتأثر كثيرا حين يعلم بحضورك وسفرك دون مقابلته ، ولكن يكفى ان تترك له ورقة تنبئه فيها بحالة سليم وباننا عجلنا بالسفر للاطمئنان على صحته »

فقال حبيب : « اننى سعيد جدا باعتزامك السفر معى لرؤية سليم . لان هذا سيعجل شفاءه ويرد اليه مرحه وسعادته . وسنستقل قطار الليل الى القاهرة باذن الله . والى ان يحين موعد السفر اكون قد انجزت بعض المهام فى المدينة وعدت الى هنا لمقابلة اخى فؤاد ثم اصطحابك الى القاهرة »

ثم نهض وقبل يدها مكررا تأكيده ان صحة سليم لاتدعو الى اى قلق . وخرج مشيعا بدعواتها الطيبات

ولما عاد بعد حوالى ساعتين كان فؤاد قد عاد الى المنزل فتعانقا وتبادلا التحيات ، ثم جلسا يتحدثان فى شأن سليم وغير ذلك حتى حان موعد العشاء ، فتناولوه جميعا ، ثم اعدت والدة سليم حقائبها للسفر مع حبيب ، واستقلا عربة من المنزل حتى المحطة مودعين من فؤاد وقرينته ووردة باطيب التمنيات

وعلم حبيب من والدة سليم وهما فى القطار ان وردة اظهرت جزعا شديدا حين انبأتها بمرض سليم واعتزامها السفر الى القاهرة لرؤيته والاطمئنان عليه ، وطلبت اليها ان تخفى نبأ مرضه على ابنتها اميلى زاعمة انها ربما تموت حزنا وغما اذا علمت بذلك

من سليم الى سلمى

بقيت سلمى معتكفة فى فراشها وهى تغالب تأثرها الشديد ، وتفكر فيما يكون من امر سليم بعد ان يطلع على خطابها . وقد اشتد ندمها على كتابتها هذا الخطاب ، وشعرت بانها اخطأت فى حق سليم ، وكان عليها ان تتأنى ولا تنساق مع عواطفها المهتاجة فتقضى بجرة قلم على علاقتهما بعد ان توطدت وارتبط قلباهما

وكانت تتوقع ان يأتى سليم لمقابلتها على اثر اطلاعه على خطابها ، فبقيت حتى عصر ذلك اليوم وهى كلما سمعت طرقا على باب المنزل حسبت انه هو القادم ، فيشتد خفقان قلبها وتضطرب اعصابها . فاذا تبينت ان القادم غيره عاودها اليأس ولاح لها انها فقدت حبيبها الى الابد ، فيزداد جزعها وندمها على كتابة ذلك الخطاب اليه

ولم تكن تستطيع ان تفرج عن نفسها بالبكاء ، لان ابويها كانا يلازمان غرفتها ، ولا يتركانها الا فترات يسيرة لمقابلة زائر او انجاز عمل فى المنزل . كما ان سعيدة الخادمة الماكرة العجوز حرصت على ان تبقى قابعة بالقرب من سريرها ، متظاهرة بشدة جزعها وتفانيها فى خدمتها وتلبية مطالبها

وكان ابواها يتوقعان ايضا ان يجىء سليم كعادته عند الاصيل ، فلما ولى النهار دون أن يجىء ، قلقا عليه ، لكنهما لم يذكرا ذلك لسلمى مخافة ان يزيد هذا فى توعكها وضعفها ، وهما لا يعلمان شيئا من امر خطابها اليه وخطاب والدته الذى وقع فى يدها . كما انهم جميعا لم يعلموا بأمر مرضه وملازمته الفراش ، لان حبيبا حين زارهم عصر ذلك اليوم لم يشأ ان يخبرهم بذلك ، لما علمه من امر مرض سلمى ، وخشيته أن يزيدهم قلقا وانشغالا ، فخرج

من هناك مكتفيا بأن تمنى لسلمى عاجل الشفاء ، ومضى الى منزله فى حلوان حيث انبأ امه بمرض سليم واتفقا على نقله الى منزلهم للعناية به -

وامضت سلمى ليلتها وهى على تلك الحال من القلق والاضطراب ، ولم تنم الا فترات متقطعة تخللتها الاحلام المزعجة . واصبحت وهى اسوأ حالا منها بالامس . فدعا والدها الطبيب لفحصها ، وداخلهما بعض الاطمئنان حين قـرر ان مرضها يسـير لا يلبث ان يزول بالراحة والاستجمام ، ووصف لهـا دواء يعـاون على التعجيل بالشفاء

على انها فى الواقع لم تكن فى حاجة الا لما يعيد الى قلبهـا ما فقده من الامل والسعادة بتبادل الحب مع سليم . فلم يجدها تناول الدواء نفعا ، وبقيت تتقلب فى فراشها حائرة مضطربة ولا تجـد شهية للطعام او الشراب ، الى ان حان وقت الاصيل ، فعاودها الامل فى ان يجىء سليم كعادته ، واضطجعت فى سريرها متشاغلة بمطالعة احد الـكتب ، وهى ترهف السمع لعلها تسمع صوته او وقع خطاه حين وصوله

واخيرا ، سمعت طرقا على باب المنزل ، فاشتدت دقات قلبها ، ولم تتمالك نفسها فالقت بالـكتاب على الوسادة بجانبها ، ولبثت ترتقب معرفة الطارق بعد أن خرجت والدتها بنفسها لفتح الباب

وكانت ادما هى التى طرقت الباب ، وقد جاءت لحاجة فى نفسها تتعلق بحبيب ، وهى لا تدرى شيئا عن مرض سلمى . فلمـا علمت بذلك من والدتها ، بدا عليها الوجوم والاضطراب ، وسارعت الى الدخول عليها فى غرفتها متعثرة الخطى . وما كادت سلمى تراها حتى تذكرت ما بها من المرض والضعف بسبب الحب ومتاعبه فلم تتمالك عواطفها واجهشت بالبكاء . فهمت بها ادما وقبلتها ، وجلست بجانبها على السرير ، محاولة مواساتها والترفيه عنها ، ولـكن لسانها لم يكن يقوى على الـكلام لشدة ما هى فيه من الارتباك

وكانت سلمى تحب ادما وتأنس الى حديثها وتثق باخلاصها لها ، فحدثتها نفسها بأن تخلو اليها وتكشف لها عن سبب مرضها

وضعفها . ولكنها عادت فآثرت الكتمان ، واكتفت بأن نظرت اليها وتنهدت متحسرة على انها ليست مثلها خالية القلب من الحب وما يجر اليـه من تعب وشقاء . ولم تكن تدرى بالحب المتبادل بين ادما وحبيب ، ثم قالت لها : « هنيئا لك يا ادما ، انى اغبطك على ما انت فيه »

فوقعت هذه العبارة وقوع السهم على قلب ادما ، اذ تذكرت السبب الذى جاءت من اجله ، ولاح لها ان سلمى عالمة بأمر علاقتها بحبيب ، وانها تغبطها على ذلك ، ثم همت بأن ترد عليها فى صراحة ، لـكنها خجلت من ذلك فتجاهلت وقالت : « على اى شىء تهنئيننى يا عزيزتى ، ان حالتى لأحق بالتعزية »

فهمت سلمى بأن تصرح لها بأنها تهنئها على خلو قلبها من شواغل الحب ، ولـكن الحياء امسكها ، فبدا عليها التردد ، ثم قالت وفى صوتها ما ينم عن انها لا تقول ما تعتقد : « انما اردت تهنئتك على ما انت فيه من صحة وعافية »

فتحققت ادما صدق ظنها ، وان سلمى على علم بما بينها وبين حبيب من الحب ، ولا تريد أن تظهر ذلك

ومضت فترة وهما صامتتان ، وكل منهما مشغولة بالتفكير فى شأنها الخاص . ثم نهضت ادما مستأذنة فى الانصراف وودعت سلمى متمنية لها عاجل الشفاء ، ثم عادت الى منزلها وقلبها يحدثها بأنها ستجد حبيبا هناك . لـكنها لم تجد فى المنزل احدا غير والدتها ، فاظلمت الدنيا فى عينيها ، وامضت بقية يومها فى قلق وارتباك ما عليهما من مزيد

▭

كانت ادما بعد العودة من رحلة الاهرام تتوقع ان يجىء حبيب لمقابلتها فى اليوم التالى ، ليستأنفا ما بدآه هناك من حديث الحب وما اليه

ولبثت تنتظر مجيئه منذ ظهر ذلك اليوم . وهى لا تكادتحول نظرها عن ساعة الحائط الـكبيرة ، تعد الدقائق الباقية على موعد

انصرافه من الديوان الى منزلها ، وتكاد لفرط شوقها الى لقائه تهم بعقارب الساعة فتقدمها عمدا لتقرب موعد اللقاء

وبقيت حتى الساعة الثانية بعد الظهر وهى تارة تعود بذاكرتها الى مناجاتهما بالامس بجوار ابى الهول ، وتارة تتخيله قادما اليها وهو يبتسم فلا يسعها الا ان تقابل ابتسامته بمثلها ، ثم تدرك انه لم يأت بعد ، فتأخذ فى اعداد العبارات المنمقة لتعبر له بها عن شعورها نحوه متى جاء . كل هذا ووالدتها مشغولة عنهــا ببعض شــئون المنزل ، ولا علم لهــا بما يعتمل فى صــدرها من عوامل الوجد والهيام

وازداد قلق ادما ، ونفد صبرها منذ اخذت الدقائق تمضى بعد ذلك دون ان يحضر حبيب . ولم تعد تستطيع الاستقرار فى مكانها ، فاخذت تنتقل من غرفة الى غرفــة ، ومن شرفة الى شرفة . وعيناها شائعتان تحملقان فى اشباح الغادين والرائحين فى الطــريق الى المنزل . وكلما لمحت شخصا فى مثل قامة حبيب ، او يرتدى بذلة قريبة اللون من بذلته ، تسارعت دقات قلبها . ثم لا تلبث قليلا حتى تتبين ان القادم ليس هو ، فتصعد الزفرات ، وتعود الى غرفتها متخاذلة ، لتعاود الوقوف امام المرآة ، لتتحقق ان عينه لن تقع على شىء فيها لا يرضيه ، وفى بعض الاحيان كانت تصادف والدتها فى احدى تلك الغرف ، فلا يسعها الا التظاهر امامها بانها تبحث عن ورقة او كتاب ، لتخفى عليها ما يشغلها ويقلقها

ومضت ساعتان ، كأنهما لطولهما سنتان ، وادما على هــذه الحال ، وكلما عادت الى الساعة ، حاسبة ان عقاربها اتمت دورة كاملة منذ راتها لآخــر مرة ، وجدت انهــا لم تقطع ســوى دقائق معدودات

واخيرا ، وفيما هى مطلة من احدى النوافذ ، اذا بها ترى حبيبا مقبلا نحو المنزل ، فخفق قلبها ، وارتعشت ركبتاها ، وبردت اطرافها . ثم ابرقت اسرتها . وهان عليها ان تلقى بنفسها من النافذة بين يديه فى الطريق ، ولا سيما حين راته يختلس النظر الى شرفة غرفتها . ثم همت بأن تمضى الى تلك الشرفة لتطل عليه

منها ، لـكنها فوجئت بأن راته وقد انعطف فجأة عن الطــريق المؤدى الى المنزل ، ثم اتخذ سبيله فى العطفة المجاورة التى بها منزل سلمى . فأخذتها الدهشة ولم تصدق عينيها اول الامر . ثم حسبت انه ضل الطريق ولا يلبث ان يرجع ، فلما طال انتظارها دون ان تراه راجعا ، تحولت عن النافذة وساقاها لا تكادان تقويان على حملها ، واخذت الهواجس تتقاذفها ، ولم تملك عواطفها فارتمت على اول مقعد صادفها واعتمدت راسها بيديها آخذة فى البكاء

وبعد قليل ، سمعت وقع اقدام بالقرب منها فانتبهت لنفسها ، وادركت ان امها على قيد خطوات منها ، فمسحت عينيها ونهضت متجلدة حتى لا تلحظ عليها امها شيئا . على ان فكرها مازال مشغولا بحبيب وسبب توجهه الى منزل سلمى

ولاح لها ان تلحق به الى هناك كى تقف على ذلك السبب ، غير انها لم تجرؤ على ذلك ، واكتفت بأن تسللت من المنزل الى المنزل الملاصق لــه ، وتظاهرت بالسؤال عن صديقة لهــا من الساكنات فيه ، فى حين انها كانت تقصد ان تطل على منزل سلمى من نافذة هناك

وما كادت تطل من هذه النافذة حتى وقعت عيناها على حبيب خارجا من منزل سلمى ، فخفق قلبها بشدة ، ورجح لديها انه دخل هناك عن غير قصد ثم انتبه لنفسه فعاد ادراجه الى منزلها . وسرعان ما تحولت عن نافــذة منزل الجيران وعادت الى منزلها حيث وقفت تطل على الشارع من شرفة غرفتها فى انتظار وصول حبيب

وكانت دهشتها اشد حين راته يخرج من العطفة التى بها منزل سلمى ، ثم يلقى على منزلها هى نظرة خاطفة ، وينثنى عائدا الى المدينة دون ان يعرج عليه . وهمت بأن تناديه ولـكن الحياء غلب عليها فأمسكت ، وبقيت واقفة تنظر اليه من الشرفة حتى توارى عن نظرها ، فأحست كأن قطعة من قلبها فصلت منه بسكين ، وازداد اضطرابها وامتقاع لونها ، ثم تحاملت على نفسها متحولة عن النافذة الى سريرها حيث ارتمت عليه متظاهرة بحاجتها الى

الراحة ، وبقيت ملازمة سريرها والهواجس تتقاذفها . وهى تارة يعاودها الأمل فى رجوع حبيب لمقابلتها بعد ان ينتهى من انجاز المهام العاجلة التى شغلته عنها ، وتارة يداخلها اليأس فترجح انه لن يرجع ، وان ما صرح لها به امس من مبادلتها الحب والاخلاص لم يكن الا مجاراة لها . وهنا يأخذها الندم على تصريحها له بأنها التى أرسلت اليه ذلك الخطاب ، بل تلوم نفسها كل اللوم على كتابته ، وتعد ذلك عملا من اعمال النزق والطيش لم يكن يليق بمثلها ان تقوم به

وعند العشاء ، سمعت وقع اقدام على سلم المنزل ، فاختلج قلبها ، وقفزت من سريرها لتفتح باب غرفتها وتستقبل القادم الذى رجحت انه حبيب . ولكنها ما لبثت ان سمعت صوت القادم فاذا هو ابوها ، فعاودها الانقباض ، وعبثا حاولت التجلد حتى لا يلحظ ابواها انقباضها وكدرها ، فجلست معهما على مائدة العشاء دون أن تستطيع تناول شيء من الطعام ، ولبثت بعد ذلك ساعة تتظاهر بالاستماع لحديثهما ، وفكرها مشغول بما هى فيه . ثم فقدت كل امل فى مجيء حبيب ، فنهضت واوت الى فراشها ، وباتت ليلتها تتقلب فيه على مثل الجمر ، وتتقاذفها عوامل اليأس والرجاء ، والشك واليقين ، الى ان اقترب الفجر وكان ذهنها قد كل وتعب فأدركتها سنة من النوم ، تخللتها احلام مختلفة متقطعة ، بعضها مفرح لأنه يعيد اليها موقف حبيب معها فى منطقة الاهرام وهما يتناجيان بعبارات الحب ، وبعضها محزن مزعج لأنه يعيد اليها صورته وهو يمر بمنزلها فى طريقه الى منزل سلمى وعودته منه دون ان يعرج لمقابلتها

واصبحت متعبة مكدودة ، فلم تبرح فراشها ، زاعمة لوالديها انها تشعر بصداع شديد . ثم ضاقت بملازمتهما غرفتها للاطمئنان على صحتها ، فتحاملت على نفسها ونهضت فجلست على مقعد فى الشرفة متشاغلة بالتطريز تارة وبالمطالعة فى بعض الكتب تارة اخرى

ولما حان موعد الغداء ، تناولت مع والديها قليلا من الطعام ،

ولبثت ساعة تترقب ان يجيء حبيب عقب انصرافه من الديوان . فلما لم يجيء ، نهضت وارتدت ثوب الخروج ، ثم خرجت بعد ان استأذنت والدتها لكى تزور صديقتها سلمى . وهى انما ارادت بهذه الزيارة أن تبحث ما دعا الى توجه حبيب الى هناك بالامس . ورغم وثوقها بان سلمى مخطوبة لسليم كان الشك يساورها فى وجود علاقة بينها وبين حبيب . ولكنها كانت تستبعد ذلك ، وتحاول طرد هذه الوساوس من ذهنها . الى ان وصلت الى منزل سلمى ثم قابلتها بعد ان علمت من والدتها بأنها مريضة ملازمة فراشها ، فقويت شكوكها ولا سيما بعد ان لاحظت ان سلمى تحاول ان تخفى عليها شيئا تضمره فى قلبها . وعادت الى منزلها وقد ازدادت ضعفا على ضعف ، وما كادت تصل الى غرفتها حتى ارتدت ملابس النوم وارتمت على سريرها حيث اخفت وجهها بالغطاء ، واطلقت لدموعها العنان ، لعلها تفرج بعض ما تعانيه من الغم واليأس وضيعة الآمال

وفى الصباح التالى ، لاحظت والدتها انقباض وجهها وضعفها . فأشارت عليها بأن تخرج معها للتنزه قليلا فى احدى الضواحى ، فوافقت على ذلك . وخرجتا معا من المنزل ، وما زالتا تتمشيان حتى وصلتا الى محطة السكة الحديدية ، فوقفتا هناك قليلا وهما تتأملان جموع القادمين الى القاهرة والمسافرين منها . وفيما هما كذلك ، لمحت ادما حبيبا داخلا الى المحطة مسرعا ، فخفق قلبها لهذه المفاجأة ، وتوقعت ان يراهما فيعرج عليهما . ولكنه انطلق فى سبيله لا يلوى على شيء

وكانت والدتها قد راته هى الاخرى ، فقالت : « ترى ما الذى جاء بحبيب الى المحطة فى هذا الصباح ، لعله جاء لاستقبال صديق له قادم من الاسكندرية ؟ »

فسكتت ادما ولم تجب لانشغال بالها بأمر حبيب ، على انها ظلت تنتظر مع والدتها حتى يخرج من المحطة وتقف منه على سبب مجيئه ، وعلى ما اخره عن مقابلتها منذ رحلة الاهرام حتى

ذلك الوقت . فطال انتظارهما حتى غادر القطار المحطة قاصدا الاسكندرية ، وخرج منها جميع من كانوا فى تشييع المسافرين فيه وليس فيهم حبيبا ، فايقنتا بأنه سافر فيه ، وشغلهما امر هـذا السفر الذى لا تعلمان سببه . وكانت ادما اكثر قلقا بطبيعة الحال ، لما فى قلبها من الشواغل التى لا تعلم بها والدتها . فلم تعد تستطيع المشى ولا الوقوف ، وجاهدت لاخفاء ما بها على والدتها متظاهرة بأن الصداع الشديد عاودها ، ثم عادتا الى المنزل فى احدى مركبات الاجرة ، فتناولت ادما بعض الادوية المسكنة ، واوت الى سريرها للراحة والاستجمام ، وهناك انتهزت فرصة انفرادها واشتغال والدتها عنها ببعض شئون المنزل ، واخذت فى البكاء

□

لبث سليم حتى العصر وهو ينتظر رجوع حبيب من القاهرة الى منزله الذى نقله اليه فى حلوان . فلما لم يرجع حبيب حتى ذلك الوقت ، نفد صبره ولم يعد يستطيع البقاء فى ذلك المنزل لحظة واحدة . ولم تكن الحمى قد فارقته بعد ، ولكنه رغم ذلك نهض وارتدى بذلته معتزما الخروج

وجاءت والدة حبيب الى غرفة سليم لتطمئن عليه وهى تحسب انه ما زال نائما كما تركته منذ حين ، فلما رأته مرتديا بذلته أخذتها الدهشة ووقفت تنظر اليه متسائلة : فقال لها : « لقد رايت ان اخرج للتنزه قليلا فى حديقة حلوان »

فهمت بأن ترد عليه مشيرة بالانتظار حتى يرجع حبيب من القاهرة ويصحبه الى الحديقة ، لكنها خشيت أن تذكره بغياب حبيب فيزداد تأثره ، وآثرت ان تتركه يمضى وحده للترويح عن نفسه بعض الوقت فى الحديقة . حتى اذا رجع منها استسلم للنوم بعد تناول طعام العشاء ، ولا يستيقظ حتى يكون حبيب قد عاد من الاسكندرية ومعه والدة سليم ، او يعتذر اليه بما يراه

وغادر سليم المنزل آخذا طريقه الى الحديقة . وفيما هو يمر

بمحطة السكة الحديدية هناك ، راى القطار قادما اليها من القاهرة ، فوقف ينتظر هبوط الركاب منه لعل حبيبا أن يكون بينهم . فلما تحقق انهم نزلوا جميعا وليس فيهم حبيب ، اشتد سخطه عليه وغيرته منه على سلمى . ثم لاح له أن يستقل هذا القطار عائدا الى غرفته بالقاهرة حتى لا يجشم نفسه عناء مقابلة حبيب بعد ما رابه من أمره . وكان القطار قد بدأ يتحرك فسارع الى الركوب . والقى بنفسه على احد المقاعد فيه ، وهو يتنفس الصعداء كأنما ازيح عن صدره حمل ثقيل

ولما وصل الى غرفته ، خلع بذلته وارتدى ثوب النوم ، ثم تمدد فى سريره ، وقد انهكه التعب وآثار الحمى وارتيابه فى علاقة سلمى بحبيب

وعبثا حاول النوم ليريح جسمه واعصابه ، فبقى حينا يتقلب فى سريره وكله قلق وحيرة واضطراب . ثم لاح له أن يكتب الى سلمى خطابا ينبئها فيه بما كشفه من غدرها ونفاقها ، فنهض وجلس الى المنضدة التى الى جوار السرير بعد ان اغلق باب الغرفة ، واخذ يكتب اليها ذلك الخطاب قائلا فيه :

« الى الآنسة سلمى

« اكتب اليك هذا الخطاب ولست ادرى هل استطيع الاستمرار فى الكتابة حتى اتمه ، أم انتقل من الدنيا الى الآخرة قبل ذلك . فانا اكتب الآن ونار الحمى تتقد فى راسى وبدنى ، ورعشتها تهز القلم فى يدى . ولكن هذا كله ليس شيئا يستحق الذكر بجانب ما يعتمل فى صدرى وقلبى

« وقد حاولت ان امسك عن الكتابة اليك ، بعدما تحققته من امرك ، ولكنى خشيت ان اقضى نحبى قبل ان اطلعك على معرفتى بخبيئة نفسك ، وبكل ما حسبت انه سيخفى على

« آه يا سلمى !. وا أسفاه على الايام التى قطعتها معتقدا طهر حبك واخلاصك ، حريصا على ان اكذب ما اسمعه عنك برغم وضوح صحته ، وقيام الادلة والقرائن كلها ضدك

« حتى والدتى يا سلمى ، عققتها لأجلك ، ولم استمع لما كررته

من النصح لى بالابتعاد عنك ، رغم انذارها اياى بأنها لن ترضى عنى ابدا مادمت على صلة بك ، وبانها ستموت حسرة وغما ان ابيت الا التعلق بحبائل هواك

« وقد ساقت الى الاقدار رجلا لم اعرفه ولم يعرفنى من قبل ، فسمعت منه اتفاقا قصة علاقته السابقة بك ، وكيف انخدع بما اظهرت له من الوفاء والاخلاص ، ولم يدخر فى سبيل رضـاك جهدا ولا مالا ، ثم اذا به يستكشف مصادفة انك عالقة القلب بسواه . وشد ما اسفت وتحسرت حين كشف لى الرجل عن اسم غريمه ومنافسه فيك ، فاذا هو صديق لى طالما اعتقدت وفاءه واخلاصه ، وانزلته من قلبى منزلة الاخ الشقيق ، غير عالم بانه مثلك داهية فى المكر والخداع والنفاق !

« واخيرا ، وقعت فى يدى بعد خطابك الاخير ورقة بخط يدك ، تبثين فيها ذلك الصديق ، بل ذلك العدو ، ما تكنين له من شدة الحنين والاشتياق . فكان أن انكشف الغطاء عن عينى ، وأدركت ان ما طالما سمعته منك ، وما قراته فى خطابك الاخير ، عن المحبة الطـاهرة ، وتضحيتك فى سبيلهـا ، لم يكن سـوى خداع وتضليل !

« وا اسفاه على خيبة الرجاء فيك يا سلمى !. انى مرسل اليك مع هذا بالورقة المشئومة التى هى صك خيانتك ودليل خداعك ومكرك . تاركا لك ان تندبى المحبة الطاهرة التى طالما استحلفتنى بها ، وان تذكرى العبرات التى ذرفتها عند الاهرام ، والعبارات التى نمقتها فى خطابك الاخير لتظهرى امامى بمظهر الطهر والنبل والعفاف ، ولتوهمينى بأنك مازلت الوفية الحافظة للعهود والمواثيق

« وا اسفاه على شدة اخلاصى وصدق محبتى لك يا سلمى . لقد اسلمت زمام قلبى لمن لاترعى عهدا ولا ذماما !

« ولـكن هذا القلب لن يشقى ويتعذب بعد اليوم . فهـذه هى الحمى تندلع نيرانها فى جسمى ، وما احسبها الا قاضية عليه القضاء الاخير عما قليل . وحينئذ يخلو لك الجو ، ولا يبقى هناك ما يحملك على سكب العبرات وتنميق العبارات لتموهى بهـا على

سليم السـاذج الغر الذى اخلص لك الحب ، وعق فى سبيلك والدته الحنون ، وكذب عينيه واذنيه وقلبه ليبقى معتقدا انك ملاك طاهر لاتعرفين المخاتلة والرياء

« آه يا سلمى !. ان والدتى المسكينة لا علم لها بما انا فيه الآن ، ولاشك فى انها ناقمة غاضبة لمخالفتى نصحها وارشادها . لـكنى على يقين من انها لن تلبث قليلا بعد موتى حتى تلحق بى حسرة وحزنا . فاذا قدر لك ان تقابليها قبل ذاك فاستغفريها لذنبى وذنبك . ووداعا يا سلمى .. وداعا الى الابد ، والى غير لقاء .!. سليم »

وطوى سليم الـكتاب ، ثم وضعه فى ظرف ، ونهض من مقعده وقد شعر بدوار شديد فعاد الى الإستلقاء فى سريره ، واخذ يفكر فى وسيلة يرسل بها الـكتاب الى سلمى

ولبث مستلقيا كذلك حتى الغروب ، ثم جاء الخادم فأضـاء المصباح وساله عما يريده من طعام للعشاء ، ولم يكن سليم يشعر بشهية لتناول اى طعام ، لـكنه طلب قليلا من المرق ، ثم تناوله وهو ما زال شاعرا بدوار الحمى وحرارتها ، وعاد الى التمدد فى سريره ، والتفكير فى امره

ولاح له ان متاعبه كلها لم تجىء الا لوجوده غريبا وحيدا فى القاهرة حيث خابت آماله فى الحب والصداقة ولم يلق فى مهنته النجاح الذى كان يرجوه ، فأخذ يناجى نفسه قائلا : « آه .. لو اننى نجوت من هذه الحمى الطاغية القاتلة . اذن لسارعت الى الرحيل من هذه البلدة الظالم اهلها ، ونقلت مكتبى الى الاسكندرية ، وهناك اجد القلب الذى لايمكن ان يكن لى الا المحبة والحنان ، قلب والدتى العزيزة ! »

وفى منتصف الليل ، زايلته الحمى ، وشعر بانه استرد بعض قواه ، كما شعر بأن كتابته ذلك الخطاب الى سلمى قد ازاحت عن صدره جانبا كبيرا من ثقل حيرته وتردده . وما لبث بعد ذلك قليلا حتى اخذه النعاس ، فنام لاول مرة منذ مرضه نوما عميقا هادئا لا تتخلله الاحلام المزعجة

واستيقظ فى الصباح وهو احسن حالا ، فارتدى بذلته ، ووضع فى جيبه الخطاب الذى كتبه الى سلمى ، ثم هبط الى الشارع وركب عربة مضى بها حتى بلغ اول العطفة المؤدية الى منزل سلمى ، فأمر السائق بالوقوف هناك ، وكلفه ان يصعد الى المنزل ويسأل عن الخادمة العجوز سعيدة ويدعوها اليه

وبعد قليل جاءت سعيدة ، فما كادت عيناها تقعان على سليم وهو جالس فى العربة حتى خفت الى استقباله مرحبة ، وقبلت يده متظاهرة بالبشر والحبور لرؤيته . فقال لها : « لى عندك رجاء فهل انت على استعداد لاجابته ؟ »

فقالت : « انني خادمتك المطيعة يا سيدى ، ورهن اشارتك فى كل ما تطلب ، ولو كلفنى ذلك حياتى »

فربت كتفها شاكرا ، واخرج من جيبه خطابه الى سلمى وناولها اياه قائلا : « كل ما أرجوه منك هو ان توصلى هذا الخطاب الى سلمى يدا بيد ، دون أن يعلم بذلك اى احد ، واذا سألك احد من ابويها عمن خرجت لمقابلته الآن ، فلا تذكرى اى شىء عنى ، فهل فهمت ؟ »

ثم نفحها ببعض النقود ، فتمنعت عن اخذها مؤكدة ان رضاه عنها هو كل ما تتمناه ، لكنه اصر على ان تأخذ تلك النقود فأخذتها ، وعاد هو فى العربة من حيث اتى . فلما وصل الى محطة السكة الحديدية ، تذكر ما فكر فيه امس من السفر الى الاسكندرية ، وخشى ان تعاوده الحمى بعد الظهر فتقعده عن تحقيق هذه الرغبة ، فهبط من العربة ونقد سائقها اجره ، ثم دخل المحطة فابتاع تذكرة سفر الى الاسكندرية ، ثم اشترى بعض الصحف وجلس يتسلى بمطالعتها فى القطار

قلبان يحترقان

كانت سعيدة منذ مرض سلمى تبالغ فى التقرب اليها والتظاهر بالتفانى فى خدمتها ، وهى على يقين من ان مرضها ليس الا نتيجة لانقطاع سليم عن زيارتها . وكانت تتوقع ان تكاشفها سلمى بأمرها بعد ان وثقت بها ، وحينئذ تنتهز هذه الفرصة لتحملها على اغفال شأن سليم وقطع علاقتها به الى الابد ، لتمهد بذلك لتحقيق رغبة سيدتها وردة فى تزويجه بابنتها اميلى

على ان سلمى رغم ثقتها بسعيدة واستئناسها بالتحدث معها بقيت حريصة على كتمان أمرها مع سليم ، ومضت الايام وسعيدة لا تجد الفرصة للتحدث معها فى شأنه

فلما جاء سليم واعطاها ذلك الخطاب لتسلمه لسلمى ، خشيت ان يكون فيه ما يعيد العلاقة بين الحبيبين الى ما كانت عليه من الصفاء ، ولا يبقى لها بعد ذلك سبيل الى النجاح فى مهمتها . فلما عادت الى المنزل ، ابقت الخطاب معها دون ان تسلمه لسلمى . ثم غادرت المنزل بعد قليل ، وتوجهت مسرعة الى منزل داود صديق سيدتها وردة لكى تطلعه على ذلك الخطاب وتستشيره فيما تصنع به

ولاحظت سعيدة على داود دلائل القلق والارتباك منذ وقعت عيناها عليه بعد وصولها الى منزله ، وسألته فى ذلك فقال لها : « نعم انى فى قلق شديد ، لانى تلقيت الآن خطابا من الاسكندرية بوساطة البريد ، فلما فضضته وجدته موجها الى سليم من والدته ، تدعوه فيه الى موافاتها فى الاسكندرية فى اقرب وقت مستطاع »

فقالت سعيدة : « ان سيدتى وردة هى التى تكتب بخطها خطابات والدة سليم ، فهل هذا الخطاب ليس بخطها ؟ »

قال : « انه بخطها من الداخل والخارج كالمعتاد ، وهذا هو الذى يقلقنى »

فلم تفهم سعيدة مراده واستوضحته الامر فقال لها : « اننى اخشى ان تكون سيدتك قد كتبت خطابين فى وقت واحد ، احدهما لسليم باسم والدته وهو هذا الذى تلقيته الآن ، والآخر لى لكنها اخطأت ايضا ووضعته فى الظرف الذى كتبت عليه عنوان سليم . ولعل فيه من الاسرار ما كان يجب الا يعلم به سليم »

فقالت سعيدة له : « هذه ظنون ووساوس لا ينبغى الاسترسال فيها ، ولن تمضى ايام معدودة حتى يتضح الامر ونقف على حل هذا اللغز . ومن يدرى فلعل سيدتى ارسلت اليك صورة من الخطاب الذى ارسلته الى سليم باسم والدته لتكون على علم به . وعلى كل حال قد جئتك الآن بما هو اهم ، فدع تلك الظنون والاوهام جانبا ، لكى تشير على بما يجب ان اصنعه »

ثم اخرجت الخطاب الذى تسلمته من سليم وقالت : « لقد جاء سليم منذ ساعة فى عربة وقف بها قرب منزل سلمى ، ثم ارسل السائق يدعونى اليه وسلمنى هذا الخطاب كى اسلمه لسلمى يدا بيد ، وحذرنى ان اذكر عنه شيئا لاى احد سواها . ثم انصرف فى العربة التى جاء فيها وعلى وجهه آثار الضعف والانقباض »

فتناول داود الخطاب وفضه واخذ فى قراءته ، وما اتمه حتى تنهد وتهلل وجهه فرحا وقال لسعيدة : « لقد ساق الينا الحظ بهذا الخطاب اكبر خدمة ، ولا يكاد يصل الى يد سلمى وتطلع على ما فيه حتى يتحقق ما نرجوه من نجاح مهمتنا ، ولا يبقى هناك اى امل فى عودة العلاقات الودية بين سلمى وسليم » . ثم شرح داود لسعيدة ما تضمنه خطاب سليم ، واعاد الخطاب اليها بعد ان لصق ظرفه كما كان ، وامرها ان تعجل بتسليمه الى سلمى

كانت والدة سلمى قد لاحظت خروج سعيدة من المنزل ، فلما

وجدت ان غيبتها طالت اكثر من العادة قلقت عليها ، وما كادت تراها عائدة بعد ساعة حتى سألتها عن سبب خروجها وغيابها ؛ فتنهدت سعيدة وقالت لها : « ان المخدم ارسل يدعونى اليه واخذ يتهددنى لانى التحقت بالخدمة فى منزلكم دون علمه ، فذكرت له انى لا اعمل خادمة عندكم ، ولكنكم رثيتم لحالى وعطفتم على شيخوختى فآويتمونى فى داركم واوسعتمونى برا واحسانا . لكنه لم يصدقنى وعاد يهددنى بانه يعرف كيف ينتقم منى . فلم اعبأ بتهديده ، وتركته يسب ويتوعد ورجعت الى المنزل مسرعة لاكون فى خدمة سيدتى سلمى وخدمتكم جميعا »

فصدقتها والدة سلمى واعجبت باخلاصها وحسن تخلصها من المخدم ، وقالت لها : « هكذا كل المخدمين ، ولكن لا يهمك هذا الامر »

ثم سارعت سعيدة الى غرفة سلمى ، فوجدتها مضطجعة فى سريرها وقد امتقع لون وجهها وذبل جمالها ، وعيناها مغرورقتان بالدموع . فأدركت ان هذا بسبب مقاطعة سليم لها وعدم رده على خطابها الاخير اليه ، لكنها تجاهلت واخذت تعتذر من تخلفها عن خدمتها بعض الوقت وتسألها عن صحتها فقالت سلمى : « اشعر بأنى اسوا حالا مما كنت ، والحمد لله على كل حال »

فتظاهرت سعيدة بالتأثر الشديد ، ثم اخذت تجاذبها الحديث الى ان قالت لها : « يلوح لى يا سيدتى ان مرضك ليس كأمراض اكثر الناس » . وتنهدت

فعجبت سلمى من هذه العبارة ونظرت اليها متسائلة ، فقالت سعيدة : « لو انه كان مرضا عاديا لافاد الدواء فى علاجه ، ولعله مرض نفسانى سببه القلق واضطراب الفكر »

فخفق قلب سلمى وكادت تبكى لانطباق هذا الوصف على حالتها . غير انها امسكت نفسها وقالت متجاهلة : « ان الشفاء بيد الله يا خالتى ، وما قلقى واضطراب فكرى الا بسبب مرضى »

فمالت سعيدة عليها وربتت وجهها متلطفة وهمست فى اذنها

قائلة : « لست الومك على تكتمك يا بنيتى ، فهكذا كل الفتيات المهذبات العاقلات . ولـكنك لا تجهلين أننا معشر العجائز لنا من خبرتنا وتجاربنا ما ليس لغيرنا ، كما انك تعلمين مدى محبتى لك ورغبتى فى سـعادتك ، فلو انك كشفت لى سـبب قلقك واضطرابك ، فقد أستطيع أن انفعك بمشورتى »

فتنهدت سلمى ، وهمت بأن تصرح بحقيقة أمرها لسعيدة ، ثم غلب عليها حياؤها فأمسكت وسكتت

وانتهزت سعيدة هذه الفرصة فواصلت همسها قائلة : « ان ما يراه الفتيات شيئا خطيرا يدعو الى الحزن واليأس ، قد يكون فى كثير من الاحيان شيئا تافها لا يدعو الى شيء من ذلك . وقد طالما وقعنا فى مثل ذلك فى عهد الشباب ، فكانت الدنيا لا تسع احدانا لفرط فرحها وسرورها حين يصرح لهـا احد الشبان بأنه احبها وعلق بها آماله فى المستقبل ، ثم تروح على هذا الاساس تبنى بخيالها قصورا عالية ، وتكرس وقتها كله للتفكير فى فتى احلامهـا المختار الذى ساقته اليها الاقدار . وما هى الا ايام او شهور ثم تنكشف لها الحقيقة ، فاذا بها كانت ضحية للوهم والخيال ، واذا بذلك المحب المدنف الولهان قد تخلى عنها لأتفه الاسباب ، او لأسباب مختلفة يلفقها لـكى يتخلص من عهوده معها ووعوده لها ، ليعيد تمثيل الرواية مع فتاة اخرى »

وكانت سلمى تصغى الى كلام سعيدة اصغاء تاما ، وتراه منطبقا كل الانطباق على علاقة سليم بها . وبرغم ثقتها باخلاص سـعيدة وتعقلها ، لم تستطع أن تتغلب على حيائها لتكاشفها بأمرها ، واكتفت بتصعيد الزفرات

وفيما هما كذلك سمعتا طرقا على باب المنزل ، فأجفلت سلمى اذ تذكرت زيارات سليم السـابقة ، وان كان املهـا ضعيفا فى أن يكون هو القادم . وخرجت سعيدة لترى من الطارق ، ثم عادت بعد قليل الى سلمى وقالت لها : « لقد جاءت الآنسة ادما ومعها ابوها وامها ، وهم الآن مع سيدتى والدتك فى حجرة الاستقبال »

ثم اقتربت منها وهمست فى اذنها قائلة : « وهناك زائر آخر حسبته قدم معهم ، ثم تبينت انه جاء وحده ولم يشأ الدخول بل اكتفى بأن اعطانى خطابا لأسلمه لك يدا بيد » . قالت ذلك وهى تخرج خطاب سليم وتتلفت نحو باب الغرفة كأنهـا تحاذر ان يراها احد

فجف ريق سلمى فى حلقها ، وشعرت بأن قلبها يكاد يقفز من موضعه ، وطفح العرق غزيرا من جبينها ، وتناولت الخطاب من سعيدة بيد مرتجفة ، وقالت لها والدموع تنهمر من عينيها : « انه من سليم ، اليس كذلك ؟ » . قالت : « نعم »

ثم تسللت سعيدة خارجة من الغرفة واغلقت بابها من الخارج ، فادركت سلمى انها صنعت ذلك لتتيح لها قراءة الخطاب قبـل ان تدخل عليها ادما وامها لعيادتها . وازدادت اعجابا بذكائهـا وتقـديرا لاخلاصها ، غير عالمة بمـا تدبره لهـا من المـكايد فى الخفاء

□

ما كادت سلمى تطلع على خطاب سليم حتى اشـتد ضعفها واضطرابها ، فبردت اطرافها واخذتها الرجفة حتى سقط الخطاب من يدها على الوسادة ، وطارت الورقة الصغيرة الملحقة به ووقعت على الارض . وهى الورقة التى وجدها سليم بين صفحات الرواية فى منزل حبيب بحلوان ، وحسب انها مرسلة اليه من سلمى

ولم تتمالك عواطفهـا المهتاجة فانفجرت باكيـة واخذت تلطم وجهها قائلة : « وافضيحتاه !. وا اسفاه .. ويل للمحتالين الخادعين الملفقين ! »

وكانت سعيدة واقفة بباب الغرفة من الخارج ، فسارعت الى فتحه ودخلت متظاهرة بالارتياع وهى تقول : « ماذا بك ياسيدتى ؟. لا بأس عليك ! »

فانتبهت سلمى لنفسها ، وارتمت على سريرها وهى تواصـل

التأوه والانين ، فقالت لها سعيدة : « هدئى روعك يا سيدتى وخفضى من صوتك حتى لا يسمع فى غرفة الاستقبال وفيها والدتك مع ادما وابويها »

ولـكن سلمى لم تستطع امساك نفسها عن البكاء والعويل لفرط تأثرها ، ثم اخذت الخطاب الملقى على الوسادة ووضعته فى الظرف دون ان تفطن الى الورقة الاخرى التى سقطت على الارض ، وبعد ان تأملته قليلا دسته تحت حشية السرير ، ثم تلفتت نحو باب الغرفة فلما وجدته مغلقا ، وسعيدة واقفة بجانب السرير وعليهـا امارات التأثر الشديد ، استوت جالسة فيه ، واخذت تمسح دموعها وتعض على نواجذها من الغيظ قائلة : « آه يا سليم !.. اهكذا آخرة الاخلاص والوفاء ؟! »

فبادرت سعيدة بالانحناء عليها واخذت تربت وجهها وكتفيها متظاهرة بأنها تغالب الدموع وقالت : « هونى عليك يا سـيدتى ، ان صحتك فى حاجة الى الهدوء » . ثم جاءتها بكوبة ماء وطلبت اليها ان تشرب قليلا ، ففعلت واضطجعت فى سريرها وهى تغالب عواطفها ، فهمت بها سعيدة وقبلتها قائلة : « ان من كانت فى مثل عقلك ونضجك لا ينبغى لها أن تنساق مع تيار العواطف ، وتقتل نفسها كمداً وحزنا » . ثم جلست على حافة السرير عند قدمى سلمى ، وواصلت مواساتها والترفيه عنها محاولة خلال ذلك ان تحملها على اليأس من حب سليم ، والاعتقاد بأن الشبان جميعـا لا امان لهم ولا وفاء

وفيما هما فى ذلك طرق باب الغرفة ، ففتحته سعيدة . ودخلت ادما وامها لعيادة سلمى ، وقد عجبا لما لاحظاه عليها من النحول والذبول واصفرار الوجه كأنها مريضة منذ اعوام . فقبلتها كـل منهما ، ثم جلستا على مقعدين بجانب سريرها ، واخذتا تجاذبانها اطراف الاحاديث عن اعراض مرضها وأسبابه ومدى اثر الدواء الذى وصفه لها الطبيب ، وما الى ذلك ، وهى متوسدة لايظهر غير وجهها من تحت الغطاء



« وما كادت سلمى تطلع على خطاب سليم حتى اشتد اضطرابها وسقط الخطاب من يدها »

ولاحت من ادما التفاتة الى ما تحت المنضدة المجاورة للسرير ، فوقعت عينها على ورقة يشبه لونها لون الورقة التى كانت قد كتبتها وارسلتها الى حبيب فى البريد . فخفق قلبها ، وانتهزت فرصة خروج سعيدة من الغرفة وانشغال امها وسلمى بالحديث والتقطت تلك الورقة خفية ، فما كادت عيناها تقعان على الخط الذى كتبت به حتى كادت تصرخ من الدهشة والجزع اذ تبينت انها هى خطابها السالف الذكر الى حبيب . وصورت لها وساوسها أن حبيبا هو الذى جاء بخطابها الى سلمى وتركه عندها ؛ فاشتعل قلبها غيرة ، وانبها ضميرها على التسرع بمكاتبة حبيب وعلى تصديق دعواه فى الحب والاخلاص . ولم تتمالك نفسها فأخفت الورقة فى جيبها ، ثم اعتمدت راسها بيديها واخذت تجهش بالبكاء

وحسبت امها ان بكاءها ليس الا تأثرا برؤية صديقتها سلمى مريضة . وكذلك اعتقدت سلمى نفسها ، فدمعت عيناها والتفتت الى ادما قائلة : « اتبكين يا ادما ؟.. لا .. لا .. لاينبغى أن تبكى . ان حالتى تستحق الرثاء ، وانا اشكر لك عاطفتك الرقيقة هذه . ولكن عليك ان تتجلدى وتصبرى فليس فى البكاء من فائدة ! »

فلم تزدد ادما الا بكاء وغيرة ، اذ فهمت من عبارة سلمى هذه مارجح ظنها

وفيما هى كذلك سمعت طرقا على الباب الخارجى للمنزل ، ثم فتح باب الغرفة ودخلت ام سلمى وخلفها حبيب ، فما كادت تراه وهى فى تلك الحال حتى علا وجهها الاحمرار ، وبردت اطرافها ولم تقو على النهوض لتخاذل ساقيها وارتجافها ، ولم يكن هو يتوقع ان يجدها هناك فبدت الدهشة فى وجهه وارتبك فلم يجد ما يقوله لها ، واكتفى بأن حياها تحية خاطفة ، ثم انصرف بوجهه عنها الى سلمى واخذ يسألها عن صحتها ويواسيها متمنيا لها عاجل الشفاء

وهنا لم يبق لدى ادما شك فى انه لا يحبها ، وانه كان يسخر منها حين أوهمها بذلك ، فازداد اضطرابها وغيظها ولم يسعها الا ان تتحامل على نفسها وتتسلل خارجة من الغرفة والدموع تنهمر من عينيها

ولم تشأ ان تدخل غرفة الجلوس اذ تذكرت ان اباها فى انتظارها ووالدتها هناك ، وخجلت ان تبدو امامه وهى فى مثل تلك الحال من الجزع والاضطراب ، فجلست على مقعد امام الغرفة ، واطلقت لدموعها العنان ، وقلبها تتنازعه عوامل الحب والغيرة والندم والغيظ وحب الانتقام

وبعد قليل ، خرج حبيب من الغرفة ومعه والدة سلمى . ومرا بها دون ان يشعرا بوجودها هناك ، وانتحيا ناحية وقفا يتهامسان فيها ، فزادها ذلك شكا فى براءة العلاقة بين حبيب وسلمى . ولم تطق البقاء فى مجلسها فنهضت محنقة ودخلت غرفة الجلوس ، وجلست متجلدة فى ناحية منها تجاه ابيها ، دون ان تنبس بكلمة

ولم تمض دقائق حتى وافتهما والدتها ، ثم والدة سلمى ومعها حبيب ، وجلس الجميع يتبادلون الحديث عن مرض سلمى وتمنياتهم لها بعاجل الشفاء . ثم نهض حبيب وانصرف بعد ان حياهم مودعا . ولاحظت ادما انه لم ينظر اليها ولم يوجه لها اية كلمة . فتحققت صحة ظنونها واتهاماتها . فغلا الدم فى عروقها ، ولم تستطع صبرا على كبت غيظها وحزنها ، فتظاهرت بتوعك صحتها واستأذنت والديها فى ان تسبقهما الى المنزل لتعتكف وتستريح ، ثم حيت والدة سلمى وانصرفت مسرعة لاتلوى على شىء

□

كان حبيب قد وصل الى منزله فى حلوان ومعه والدة سليم ، ففوجئا بأن سليما غادر المنزل عند الاصيل ليتمشى بعض الوقت فى الحديقة العامة ، لـكنه لم يعد

ونزلت هذه المفاجأة نزول الصاعقة على قلب امه وعلى قلب حبيب ، وعبثا حاولت والدته وشقيقته ان تهونا الامر على والدة سليم ، وان تقنعاها بانه عوفى من مرضه ولعله عاد الى القاهرة لأمر عاجل يتعلق بعمله ولا يلبث أن يعود . واخيرا رضيت أن تنتظر هناك ريثما يعود حبيب الى القاهرة ويأتى بسليم منها

وسارع حبيب الى القاهرة ، وتوجه الى غرفة سليم فلم يجده فيها ، لكنه علم بأنه امضى فيها الليلة السابقة . فانصرف من هناك الى البحث عنه ، فلم يجده فى المكتب ولا فى غيره من الامكنة التى يغشاها . ثم لاح له ان يسأل عنه فى منزل سلمى . فمضى الى هناك وهو فى منتهى القلق والاضطراب ، وحسبت والدة سلمى انه جاء ليسأل عن صحتها ، وقادته الى غرفتها كى يعودها ، ففوجىء بوجود ادما ، ولم يستطع لشدة اضطرابه ان يحسن لقاءها ، فتشاغل بالحديث مع سلمى والاستفسار عن صحتها . ثم انتهز فرصة خروج ادما وخرج ومعه والدة سلمى مودعة ، فسألها عن سليم ولما علم بأنه لم يزرهم منذ ايام ، لم يشأ ان يخبرهم بامر مرضه واختفائه لئلا يزيد فى قلقهم ، وزعم انه يبحث عنه لشأن خاص ، ولعله سافر الى خارج القاهرة لعمل يتعلق بمهنته . ثم غادر المنزل لمواصلة البحث عن سليم وقد اشتد قلقه عليه خشية ان يكون يأسه قد دفعه الى الانتحار . ولم تكن ادما تدرى شيئا من ذلك كله فتوهمت ان حبيبا تعمد تجاهلها واتخذت من ذلك قرينة تعزز اتهامها اياه

ولما يئس حبيب من وجود سليم فى القاهرة ، عاد الى حلوان راجيا ان يجده سبقه عائدا الى هناك ، لكنه ما كاد يصل الى المحطة حتى لمح والدته ووالدة سليم فى انتظار القطار ، فسقط فى يده . ولم يجد هو ووالدته تعليلا مقنعا لاختفاء سليم . وخيل لوالدته ان حبيبا ووالدته يعلمان سبب اختفاء ولدها لكنهما يكتمانه اشفاقا عليها ، فازداد جزعها ولم تعد تستطيع صبرا وتجلدا ، فأخذت تلطم وجهها وتصرخ مولولة لعظم فجيعتها بفقده ، وهمت بيد حبيب محاولة تقبيلها وهى تقول : « لا تكتم عنى شيئا ، قل ان سليما مات او انتحر .. آه يا ولدى وفلذة كبدى . لقد كنت انا سبب فقدك ، فليتنى مت قبل هذا ، او ليتنى لم اعارض رغبتك » . والتف حولهم جمهور كبير من الهابطين من القطار والصاعدين اليه . واستمرت فى لطمها وندبها وعويلها حتى تحرك

القطار عائدا الى القاهرة فتعلق به حبيب وهو يقول لها : « ها انى راجع الى القاهرة للبحث عنه ولن ارجع الا وهو معى ان شاء الله »

ولم يسع والدة سليم الا ان تعود الى منزل حبيب مع والدته فى انتظار ما يكون . ولكنها لم تنقطع عن النواح ، ولم ترض ان تذوق اى طعام

وصل سليم الى الاسكندرية وهو فى حالة يرثى لها من الضعف والاضطراب ، وكان كلما حاول ان يتناسى سلمى وتصور ما وقف عليه من علاقتها بصديقه حبيب هاجت اشجانه وسخط على الحب والصداقة ، غير انه كان لايلبث قليلا حتى يعود بذاكرته الى سابق عهده بسلمى وحبيب ، وما لمسه فيهما من التفانى فى المودة والوفاء . وهكذا لبث طول الطريق من القاهرة الى الاسكندرية نهبا لهذه العوامل المتضاربة حتى كاد عقله ان يطير من رأسه لفرط تحيره وتردده

واستقل عربة اوصلته الى المنزل الذى تقطنه والدته مع شقيقه فؤاد وقرينته . فلما قرع الباب فتحته خادم لا يعرفها وسألته عمن يريد ، فحسب ان والدته وشقيقه انتقلا من ذلك المنزل ، وسأل الخادم : «اليس هذا منزل الخواجة فؤاد ؟» . فقالت : « نعم ولكنه خرج منذ قليل ولن يعود قبل ساعتين »

فقال لها : « اليست والدته او قرينته هنا الآن ؟ »

فسكتت قليلا وهى تمعن النظر فيه ، ثم قالت : « ان سيدتى قرينته هنا »

وما اتمت جملتها حتى كانت قرينة فؤاد قد جاءت لترى من الطارق الذى اطالت الخادم الحديث معه ، فلم تعرف سليما اول الامر لشدة ضعفه وتغير هيئته . ثم عرفته فبادرت باستقباله مرحبة والدهشة تكاد تعقد لسانها، فدخل المنزل وساقاه لا تقويان على حمله وسألها : « اين والدتى ؟ اليست هنا ؟ »

فدعته الى الجلوس كى يستريح ، وقالت له : « انها سافرت الى القاهرة ، لكى تراك ، وهذا انت قد جئت لكى تراها . اليس هـذا من عجائب الاتفاق ؟ »

فأخذته الدهشة وقال : « سافرت الى القاهرة لترانى ؟. كيف ذلك ؟ ومتى سافرت ؟ »

فقالت : « سافرت فى الليلة الماضية مع صديقك حبيب »

قال وقد ازدادت دهشته : « اى حبيب ؟ هذا غير ممكن . ما الذى يجيء بحبيب الى الاسكندرية الآن ؟ »

فقالت : « لقد عدنا الى المنزل مساء أمس انا وفؤاد ، فوجدناه هنا مع والدتك ، وعلمنا منه انك كنت مريضا وما زلت فى طور النقاهة . وبعد ان تناولنا العشاء جميعا ، اصطحب والدتك وعاد بها الى القاهرة فى قطار نصف الليل »

فسكت سليم حائرا ، ولم يستطع الاهتداء الى سبب مجيء حبيب . واخيرا دعته قرينة اخيه الى النهوض لغسل راسه وتبديل ثيابه . فنهض لذلك متثاقلا وهو لا يستطيع اخفاء ما به من الدهشة والشك . وما كاد ينتهى من ذلك حتى عاد شقيقه فـؤاد من عمله لتناول الغـداء فى المنزل . فتعانقا طويلا ، ثم جلسوا الى المائدة جميعا ، وهم يتبادلون الحديث حول ذلك الاتفاق العجيب ، وسليم اشد دهشة لأنه لم يكن يتوقع ان تزوره والدته فى القاهرة بعد أن انذرته بمقاطعته الى الابد فى خطابها الاخير ، ولأنه لم يهتد الى سبب مجيء حبيب اليها دون علمه واصطحابه اياها الى القاهرة

وبعد الغداء ، طلب فؤاد الى سليم أن يتمدد قليلا فى الفراش للراحة من عناء السفر . فوافق على ذلك لـكى يخلو الى نفسـه ويعاود التفكير فى الامر

وقبيل المغرب ، دخل فؤاد عليه غرفة النوم لايقاظه ، فاذا بالحمى قد عاودته ، فارتفعت درجة حرارته ، واخذته الرعشة ، وتصبب عرقه غزيرا . فجلس بجانبه يسأله عما به ويهون عليه الامـر .

ثم دعا زوجته وطلب اليها ان تكلف السيدة وردة باستدعاء طبيبها المعروف ببراعته لفحص سليم ومعالجته ، فسارعت الى اجابة هذا الطلب

وبعد قليل ، عادت زوجة فؤاد ومعها الطبيب وسيدتان لم يعرفهما سليم ، فاقتربت كبراهما منه وهى فى ثياب تنم عن الثراء والتبرج ، وقبلته بحنان قائلة : « لا بأس عليك يا ولدى . لقـد جزعنا جميعا حين علمنا بانك مريض فى القاهرة ، وكنت مصرة على مصاحبة والدتك فى سفرها للاطمئنان عليك » . ثم التفتت الى الطبيب وكان قد شرع فى فحص سليم وقالت له : « أرجو يا دكتور ان تبذل اقصى عنايتك بعزيزنا سليم ، فهو عندى فى معزة اميلى ابنتى » . قالت ذلك وهى تشير الى الفتاة التى دخلت معها . فعلم سليم انها ابنتها ، وعجب لمبالغتها فى الاحتفاء به ، ومعاملته كأنها تعرفه منذ عهد بعيد

وبعد ان انتهى الطبيب من فحص سليم ، التفت الى تلك السيدة وقال : « اطمئنى يا سيدتى ، انها حمى بسيطة لا خطر منهـا ، ولـكن يحسن ان يصحب تناول الدواء الذى سأصفه الآن ، العناية بتبديل الهواء ، أو الاقامة بمكان هواؤه نقى منعش مثل منطقة الرمل »

فقالت : « هذا امر سهل جدا يادكتور ، وانت تعرف ان منزلنا فى الرمل يمتاز بحسن الموقع . وبما ان والدته ليست هنا ، فان واجبى ان اقـوم مقامها ، وسأنتقل بنفسى معـه الى منزلنا ذاك لأشرف على خدمتـه وتمريضه حتى ترجع والدته من القاهـرة بسلامة الله »

ثم التفتت الى قرينة فؤاد وقالت لها : « ان منزلى ومنزلـكم واحد كما تعلمين ، وانت مشغولة بالاولاد وتربيتهم ، اما انا فأستطيع تخصيص وقتى كله للقيام بهذه المهمة »

فاعجب سليم بلطف تلك السيدة واخلاصها وكرمها ، ثم رآها تودع الطبيب وتشير الى ابنتها أن تكلف بعض الخدم باعداد منزل الرمل للانتقال اليه بعد قليل ، فخاطبها لاول مرة قائلا وفى وجهه

علامات التأثر الشديد : « اننا جميعا عاجزون عن شكرك يا سيدتى ، وليس فى الامر ما يدعو الى تعجيل الانتقال »

فقالت له : « اننى لم اقم الا ببعض الواجب على ، فوالدتك اعز على من اخت شقيقة ، وانت عندى بمنزلة وحيدتى هذه . (واشارت الى ابنتها اميلى) . وكن على يقين من ان وجودك عندنا هو اسعد ما نتمناه . ومتى عادت والدتك بالسلامة فستخبرك كما يخبرك عزيزنا فؤاد وقرينته بانه ليس بيننا اى تكليف »

ولم يسع فؤاد وقرينته الا ان يشكراها بدورهما على صدق مودتها ومروءتها ، تاركين امر الانتقال او البقاء لرغبة سليم ، فقال موجها الكلام الى وردة : « اننى ولاشك يسعدنى ان البى هذه الدعوة الكريمة المشكورة ، ولكنى الآن مازلت فى نوبة الحمى ، وربما كان فى الانتقال ما يزيد فى وطأتها ، فلننتظر الى غد ، ثم يفعل الله ما يشاء »

فقالت وردة : « لقد سألت فى ذلك صديقنا الطبيب ، فأكد لى الا خطر من الانتقال الآن على ان يكون فى عربة مغلقة »

ثم التفتت الى ابنتها وقالت لها : « هل كلفت الخدم باعداد منزل الرمل ؟ »

فقالت : « نعم ، وقد ذهب احدهم لاحضار مركبة مغلقة حسب امر الطبيب » . ثم اطرقت وقد توردت وجنتاها خفرا وحياء . فلم يجد سليم وجها للمعارضة ، وسكت متنهدا اذ ذكرته رؤية اميلى بسلمى وما كان من اعجابه بكمالها وادبها وحيائها . وكادت الدموع تنحدر من عينيه تأثرا لولا أن جاء احد خدم وردة وقال لها : « ان المركبة بالباب يا سيدتى » . فنهضت ، وتعاون الجميع على توصيل سليم الى المركبة وادخاله فيها ، حيث جلس بين شقيقه فؤاد والسيدة وردة ، وسارت المركبة ، وخلفها مركبة اخرى فيها اميلى وزوجة فؤاد

وبعد حوالى نصف ساعة وقفت المركبتان امام منزل جميل فخم ، يقع على مرتفع مشرف على البحر ، فنزل الجميع ودخلوا وسليم بينهم ، حيث جلسوا بعض الوقت فى غرفة فخمة الاثاث والرياش

معدة للاستقبال ، ثم اشارت وردة بالانتقال الى الغرفة التى خصصت لنوم سليم ، فانتقلوا اليها ، وامضوا وقتا آخر محيطين بسريره ، يلاطفونه بمختلف الاحاديث ، ما عدا اميلى فقد بقيت ساكتة يبدو عليها الاستحياء ، وان لاحظ سليم انها تختلس النظر اليه بين آونة واخرى ثم تعاود اطراقها او تتشاغل بالاشراف على اعمال الخدم وهم يعدون العشاء

واخيرا ، انصرف فؤاد وقرينته عائدين الى منزلهما بعد تناول العشاء . ولم يبق مع سليم فى غرفته سوى وردة وابنتها ، وكانت نوبة الحمى قد زايلته وشعر بتجدد قواه ، فأخذ يسرح طرفه فى الأفق من النافذة المطلة على البحر امامه ، متحاشيا النظر الى اميلى كيلا يزيد فى خجلها ، ولئلا يثير اشجانه بتذكر سلمى

وفيما هو فى ذلك نهضت وردة من مقعدها بجانب السرير ، وامسكت زجاجة الدواء الموضوعة على منضدة فخمة تحت النافذة المذكورة ، فصبت قليلا منها فى قدح ، وعادت تحمله الى سليم ؛ فتناوله من يدها وشرب مافيه ثم رده لها شاكرا ، فقالت : « اذا شئت ان تزيد فى سعادتنا وسرورنا لوجودك معنا ، فلا تعد مرة اخرى الى مثل هذه العبارات . فأنت هنا فى منزلك مع والدتك وشقيقتك ، وليس عليك الا ان تأمر وعلينا السمع والطاعة »

فاغرورقت عيناه بالدموع لفرط تأثره بهذه المجاملة ، ولاحظت اميلى ان العرق يتصبب من وجهه ، فنهضت وجاءت بمنديل كبير من الحرير الابيض ، واخذت تمسح به وجهه فى ترفق وحنان ، فضاعف هذا تأثره ولم يستطع امساك دمعة انحدرت على خده ، وخشى ان يتكلم ليشكرها فتخنقه عبراته ، فاكتفى بأن ضمن نظراته اليها كل معانى الشكر والاعتراف بالجميل ، ثم عاد الى تحاشيه النظر اليها لما لاحظه من ازدياد خجلها حتى تضرجت وجنتاها بالحمرة

على انها ما لبثت قليلا حتى جاءت بمروحة لطيفة ووقفت تروح بها على وجهه ، فاحمر وجهه هو حياء ، ونظر اليها وعلى فمه ابتسامة الشكر قائلا : « لا داعى لتعبك يا عزيزتى »

فقاطعته والدتها قائلة : « ان اميلى بمنزلة شقيقتك ، فدعها تقم بالواجب عليها ، لان هذا يسعدها ولاشك »

ولم يسعه الا السكوت ، واخذ يصغى لما تحدثه به وردة عن علائق المودة الخالصة التى تربطها وابنتها بوالدته ، وعن تمنياتهن الطيبة المشتركة له قبل رجوعه من القاهرة ، بينما قلبه يخفق بشدة ، ولا سيما حين كانت تحين منه التفاتة الى اميلى وهى تروح له فتقع عيناه على يدها البضة تزينها الاساور الذهبية المرصعة بالماس ، او على وجهها المتورد وقد ازدادت حمرته خجلا من نظراته ، وتأثرا بحركة يدها المستمرة فى الترويح له

وكانت صورة سلمى تراود خياله خلال ذلك ، فلا يسعه الا ان يجاهد نفسه كى يبعدها ، مستنكفا ان يفسح لها مكانا بجانب صورة اميلى التى اسرته بتواضعها ولطفها وتفانيها فى خدمته رغم انه لم يرها من قبل

ومضى الوقت دون ان يشعر بمضيه الا حين دقت الساعة مؤذنة بانتصاف الليل ، فأراد ان يستأذنهما فى ان تتركاه مشكورتين لينام ، لكنه خجل وسكت . واذا باميلى تقول : « اظن انه يستحسن ان نتركك الآن لتأخذ حاجتك من النوم ؟ »

فأعجب بفطنتها وظرفها وقال : « الواقع انى لا اريد ان تفارقانى لحظة واحدة ، ولكنى اشعر بانى اتعبتكما كثيرا »

فافتر ثغرها عن ابتسامة كبيرة ونظرت اليه وقالت : « اننا لم نشعر بأى تعب ، بل شعرنا على عكس ذلك بمنتهى الغبطة والسعادة لاطمئناننا على صحتك . ولولا خشية ان يثقل عليك وجودنا اثناء نومك ، ما فارقناك قط . على اننا سنبقى قريبا منك فى الغرفة المجاورة »

ثم اشارت الى اميلى فنهضت وعاونتها على تنظيم سريره وتغطيته ثم همت به فقبلته وقالت : « تصبح على خير يا بنى » . وخرجت تتبعها اميلى . وقبل ان تغلق هذه باب الغرفة خلفها ، تريثت قليلا وهى تنظر اليه ، فلما نظر الى هذه الجهة وتلاقت نظراتهما ابتسمت له واحنت راسها مودعة ، ثم اغلقت الباب بهدوء

حب جديد

استيقظ سليم فى صباح اليوم التالى ، بعد نوم عميق مريح ، وقد شعر بانه استعاد صحته . وما كاد يفتح عينيه حتى وقعتا على اميلى وهى واقفة بجانب سريره ، وهى بثياب البيت ، وفى يدها المروحة تروح له بها . فلما تلاقت نظراتهما ابتسمت له وقالت : « صباح سعيد يا عزيزى . كيف حالك الآن ؟ »

فاحمر وجهه حياء ، واستوى جالسا فى السرير ، ثم مد يده واخذ المروحة من يدها قائلا : « سعد صباحك يا عزيزتى . اننى ما عشت لن انسى لك ولوالدتك العزيزة هذا الجميل » . ثم اطرق وتشاغل بالترويح على وجهه بيده . فاذا باميلى تمسك يده فى ترفق وتلطف وتقول وعيناها تلمعان ببريق ساحر جذاب : « اترى يدى كانت ثقيلة عليك ؟ » . ثم ضغطت يده بخفة ورشاقة وهى تبتسم ، فتمشت الرعدة فى مفاصله وتسارعت دقات قلبه ، وعادت به ذاكرته الى اليوم الاول لتبادله الحب مع سلمى ، فوجم وخشى ان يكون قد نجا من شر ليقع فى شر اعظم ، فلم يسعه الا جذب يده من يدها بلطف ، واطرق ساكتا والهواجس تتقاذفه

فاشتد احمرار وجهها ، وبدت فيه آثار الخجل والكدر معا ، وتأخرت خطوة الى الوراء وساقاها لا تقويان على حملها لفرط تاثرها . فاثر فى نفسه ضعفها وانف ان يسىء اليها وان لم يقصد ذلك بعد ان احسنت اليه وسهرت هى وامها فى رعايته وخدمته وبالغتا فى اكرامه والعطف عليه . فمد يده وامسك يدها وضغطها مترفقا وقال بصوت مختنق : « اننى لن انسى يدك ما دمت حيا »

فنظرت اليه فى عتاب وقالت هامسة : « ولماذا رفضتها اذن ؟ »

فقال : « انا ارفض يدك ؟.. وهل مثل هذه اليد يقدر على رفضها احد ؟ »

فتوردت وجنتاها ، واغرورقت عيناها بالدموع وانكسرت اهدابها ثم رفعت عينها ورمقته بنظرة نفاذة مؤثرة وقالت : « ارجو الا تندم على انك طلبتها بعد أن رفضتها » . قالت هذا وركزت نظراتها فى عينيه منتهزة الفرصة السانحة لايقاعه فى شباكها

فقال متلعثما : « حاشا وكلا ، ولكنى اخشى الا اكون اهلا لبلوغ هذه الغاية » . ثم فطن الى انه اوشك ان يقع فى الحب مرة اخرى ، وهو ما زال يعانى آثار الحب الاول . فأمسك عن الكلام متظاهرا بأنه يشعر بصداع خفيف ، وفطنت هى بدورها الى قصده ، لكنها تجاهلت وسارعت الى احضار دواء مسكن اذابت قليلا منه فى ملء نصف كوب من الماء ، وقدمته له فى ادب ودلال يشوبه الحياء ، فشربه ثم شكرها بلسانه بعد ان شكرها بعينيه وبلمس يدها وهو يرد اليها الكوب بعد تناول الدواء

وبعد قليل جاءت والدتها فحيته تحية الصباح ، وقالت : « اننى احمد الله على ان استجاب دعواتى لك طول الليل ، فهذا انت قد اصبحت معافى بادى النشاط والمرح »

ثم التفتت الى اميلى ابنتها وقالت لها : « اليس كذلك يا اميلى ؟ »

فقالت : « صدقت يا والدتى وقد صرحت له بهذه الحقيقة منذ قليل ، لكنه لم يصدقنى الا بعد ان اظهرت له استعدادى لان اقسم له مؤكدة ذلك » . ونظرت الى والدتها بطرف عينها

ففهمت وردة ان ابنتها بدات تطبيق التعليمات التى اصدرتها اليها لاجتذاب سليم ، غير انها تظاهرت بالسذاجة والبساطة وهمت بسليم فقبلته وقالت : « اننا نشكر الله على أن هيأ لنا هذه الفرصة الطيبة للنيابة عن الصديقة العزيزة الكريمة السيدة والدتك » .
ثم ضحكت بصوت مرتفع وقالت : « اى فرحة عظيمة ستغمر قلبها حين تراك اليوم بعد عودتها من القاهرة . ولا شك فى ان فرحتها ستكون مضاعفة حين تجدك فى منزلنا هذا . لكن قل لى يا عزيزى

سليم : هل جئت من القاهرة اجابة لطلبها فى خطابها الاخير ، أم ان هذا الخطاب لم يصل اليك »

فشعر بانها تساله هذا السؤال الاخير ، لتلهيه عن صوغ عبارات الشكر بالاجابة عنه . واعجب كل الاعجاب بنبلها واريحيتها ، ولم يسعه الا ان ينزل على رغبتها الكريمة ، فقال : « لم اتلق خطابها هذا مع الاسف لانى كنت فى حلوان وجئت الى هنا دون ان امر بالبريد لتسلم الخطابات الواردة الى . ويا حبذا لو كتبت الى ادارة البريد الآن كى ترسل الى خطاباتى الى هنا »

فقالت : « حسنا تفعل » . ثم اشارت الى اميلى ، فغادرت الغرفة فى خفة ورشاقة وهدوء ، وعادت بعد قليل ومعها دواة وقلم واوراق ، فوضعتها على المنضدة ثم قربتها الى سليم وعادت الى وقفتها بالقرب منه والمروحة فى يدها استعدادا للترويح له ، فنظر اليها وابتسم ، ثم امسك القلم وكتب خطابا بذلك المعنى الى ادارة البريد فى القاهرة ووضع الخطاب فى الظرف ثم عاد فأخرجه ، وناوله لاميلى قائلا : « هل لك ان تسدى الى يدا اخرى بكتابة عنوان المنزل هنا ؟ »

فقربت وجهها من وجهه واخذت تملى عليه العنوان فى همس رقيق ود لو انه لم ينته

وما اتم كتابة العنوان حتى سارعت اميلى الى تناول الخطاب من يد سليم ، ثم ارسلته مع احد الخدم ، ليضع عليه طابع البريد ثم يضعه فى اقرب صندوق للخطابات البريدية . ووقفت تشرف على بقية الخدم وهم يعدون طعام الافطار ، فلما انتهوا من ذلك واعدت المائدة انتقل اليها سليم وجلست اميلى امامه ووالدتها عن يمينه واخذوا فى تناول الطعام وتبادل مختلف الاحاديث »

□

عاد سليم واميلى ووالدتها الى الغرفة المخصصة لنومه ، لكى يستريح قليلا بعد الغداء . وفيما هم هناك جاء احد الخدم مهرولا يقول : « لقد حضرت السيدة والدة سيدى سليم »

فخفق قلب سليم وارتعدت فرائصه واخذته الحيرة فلم يدر اى شيء يفعل. على ان حيرته لم تطل فسرعان ما دخلت والدته راكضة . وما كاد نظرها يقع عليه وهو يهم بالنهوض من الفراش لاستقبالها حتى اسرعت ورمت بنفسها عليه محتضنة اياه ، ثم ما زالت تعانقه وتقبله ودموعها تتساقط من عينيها ، حتى شعر ببرودة يدها وتصبب العرق منها. وهو يقبلها فرفع وجهه الى وجهها وذراعاها حول عنقه فاذا به يجدها مسبلة العينين ، وراسها يترنح للسقوط ، فهم بها ومددها على السرير ، وبادرت وردة واميلى فرشتا وجهها بالماء . فلما افاقت وانتبهت لنفسها ولمن حولها عادت الى معانقة سليم وتقبيله وهى تواصل البكاء والشهيق قائلة : « آه يا ولدى !. آه يا حبيبى !. اهكذا تترك حلوان والقاهرة دون ان تخبر احدا ؟. ولقد بحثنا عنك هنـاك فى كل مكان يمكن ان تكون فيه . وكاد قلبى يحترق جزعا وتلهفا عليك ، ولولا ان جاءنى صباح اليوم خطاب اخيك فؤاد فاطمأن قلبى عليك ما قدرت لى الحياة حتى الآن »

فهم سليم بيديها فقبلهما كما قبل راسها وقال : « كنت متضايقا من مرضى الى ابعد حد . وعلى اية حال انا اعتذر اليك واحمد الله اذ ارانى وجهك الكريم . ولا يفوتنى ان اخبرك بأن ما كنت اشعر به من المرض والهم قد زال والحمد لله ، والفضل فى ذلك يرجع اولا الى كرم اهل هذا المنزل ولطفهم وتواضعهم وتحملهم التعب فى سبيل راحتى ومعالجتى »

فهمت والدته بوردة واميلى فقبلتهما شاكرة ما ابدتاه من المودة والعطف والعناية بولدها وفلذة كبدها . وعادت اميلى فقبلت يد والدة سليم بخشوع ، ثم جلس الجميع يتحدثون ويضحكون فرحا مستبشرين باجتماع الشمل . واميلى اشدهم فرحا لوثوقها من ان حيلتها قد انطلت على سليم

كان سليم منذ علم بوصول والدته قد هاجت اشجانه وتذكر

عقوقه اياها ومخالفته نصيحتها من اجل سلمى التى تبين فيما بعد خيانتها وخداعها . وحدثته نفسه اكثر من مرة بأن يخاطب والدته فى هذا الشان ويستغفرها عما سبب لها من المتاعب والاكدار. على انه آثر ان يؤجل ذلك الى ان يخلو اليها ؛ فلم تتح له فرصة لذلك الا عند فجر اليوم الثالث ، او بعده بقليل حين استيقظ من النوم بعد سهرة طويلة ، فاذا يجدها جالسة الى جواره وهى ترتب شعره وتنظم غطاءه ، فنهض وقبل يديها وجلس يجاذبها اطراف الحديث الى ان قال : « كم انا نادم يا اماه على ما فرط منى وعلى ما سببته لك من التعب والكدر بحماقتى وجهلى »

فادركت انه يعنى اصراره على خطبته سلمى ، وقالت لـه : لا بأس عليك يا بنى ، ان اول ما يهمنى الآن هو ان اراك فى خير صحة وعافية . على ان معارضتى لك لم تكن الا عن جهل منى ايضا ، فقد كنت اظن انك وقعت فى حب تلك الفتاة مخدوعا بمكرها ودهائها ، وان اصرارك على خطبتها ليس الا استنكافا منك ان تخلف ما وعدتها . ولـكن لما اخبرنى حبيب بجلية الامر ، واكد لى انك لم تحبها وتصر على خطبتها الا بعد طول روية واختبار ، لم يسعنى الا السفر معه الى القاهرة لأطمئن على صحتك ، ولاخبرك بأنى راضية بأى فتاة تختارها »

فلما سمع سليم حديث والدته عن حبيب وسلمى تحقق خيانتهما لان معارضة والدته خطبة سلمى لم يكن لحبيب علم بها ، فلابد من ان تكون سلمى هى التى اطلعته عليها وطلبت اليه أن يسافر الى الاسكندرية ويقابل والدته لاقناعها بالعدول عن معارضتها . غير انه لم يصرح لوالدته بذلك حتى لا يصغر فى عينيها واكتفى بأن قال لها : « ان علاقتى بتلك الفتاة اصبحت فى خبر كان . وثقى بأنى لن اعود اليها ابدا ، واننى باق بجانبك هنا فى الاسكندرية ، ولن اخطو اية خطوة فى سبيل الخطبة او الزواج الا بمشورتك »

فعجبت والدته من امر هذا الانقلاب الغريب ، ولاح لها انه يجاريها بما قاله ابتغاء مرضاتها ، فقالت له : « على اية حال ، كن

على يقين من انى لم اقل لك الا الحق ، واننى موافقتك على كل ما تقرره فى شأن زواجك ، فاذا كنت تريد خطبة سلمى فانا على استعداد لان اخطبها لك بنفسى واكون لها خادمة بقية حياتى اكراما لك »

فقال : « حاش لله يا اماه ، انما انا واية فتاة تختارينها زوجة لى رهن اشارتك وطوع بنانك . واكرر لك ان علاقتى بسلمى قد انقطعت تماما ، ووطدت العزم على ذلك »

فقالت : « على كل حال ، انت الآن مازلت فى طور النقاهة من مرضك ، ومتى تم شفاؤك باذن الله ، نعود الى بحث هذه المسألة ، ولا يكون الا ما ترضاه »

وكانت الشمس قد اشرقت واستيقظت وردة واميلى ، فجاءتا للسؤال عن صحة سليم ، وجلستا بجانب والدته تهنئانها بتماثله للشفاء ، وتتسابقان الى ارضائهما بمختلف الوسائل

▭

بقيت اميلى حتى موعد الغداء وهى تترقب ان تسنح لها فرصة تخلو فيها الى سليم لتستأنف معه حديث الامس وتتم حيلتها لاجتذابه اليها وحمله على المبادرة بخطبتها . ولكنها لم تتمكن من ذلك لان والدته لبثت مرابطة بجانب سريره لم تفارقه لحظة واحدة

وبعد الغداء ، اوى الجميع الى الفراش للقيلولة ، وحاولت اميلى وامها ابعاد والدة سليم من غرفته الى غرفة نومهما ، على ان تتسلل اميلى خلال ذلك الى غرفته ، ولكنها لم تغادر غرفته الا بعد ان راته يتثاءب والنوم يداعب جفنيه . وما كادت تخرج حتى نهض من سريره واغلق باب الغرفة من الداخل ثم عاد الى السرير واضطجع فيه ، ثم اطلق لنفسه عنان التفكير فى امره ، وقد شعر بأن اعجابه باميلى ليس اعجابا عاديا ، ولكنه اقرب ما يكون الى الحب او الشروع فيه

وفيما هو كذلك سمع طرقا خفيفا على باب الغرفة ، فنهض وفتح الباب فاذا باميلى هى الطارقة وبادرته قائلة فى دلال : « عفوا يا عزيزى ، اذا كان فى وجودى هنا الآن ما يثقل عليك »

فتلجلج ولم يدر كيف يجيب ، ولاحظت هى من نظراته ثم اطراقه وسكوته ما بشرها بنجاح الخطوات الاولى من تدبيرها المشترك مع والدتها . فارادت انتهاز هذه الفرصة لاتمام الخطوات الباقية ، ودخلت الغرفة متظاهرة بتبديل اغطية السرير بنفسها دلالة على شدة عنايتها براحته . لكنها ما كادت تنتهى من ذلك وتهم بالجلوس على اقرب مقعد من السرير ، حتى جاء احد الخدم ، وقدم مجموعة من الخطابات ذاكرا انها جاءت فى بريد الصباح ، وفاته ان ياتى بها اليه حينذاك

فصل الخطاب

اخذ سليم يقلب ظروف الخطابات الواردة اليه ، فوقعت عينه على ظرف من بينها عرف لاول وهلة انه بخط سلمى ، فبغت وخفق قلبه . لـكنه تجلد حتى لا تلاحظ اميلى تأثره واضطرابه ، ثم تظاهر بحاجته الى النوم ، ووضع الخطابات كلها دون ان يفضها على المنضدة التى بجانب السرير ، فانطلت حيلته على اميلى ، ونهضت للانصراف وانتظار فرصة اصلح لاستئناف حديثها معه على حدة

ورای هو ان يطيب خاطرها بكلمة تنم عن مبادلتها مثل شعورها نحوه فقال لها : « يلوح لى انى ساكون فى المساء اشد حاجة الى يدك اللطيفة يا عزيزتى »

فخفق قلبها ونظرت اليه لترى ماذا يقصد بهذه العبارة ، فاذا به يبتسم وينظر اليها بطرف عينه كانه يعجب من انها لم تفهم مراده ، ثم قال لها : « سأحاول بعد النوم قليلا ان اقرا هـذه الخطابات التى جاءتنى من القاهرة ، ولاشك فى ان الرد عليها بخط يدك سيكون اسرع وابدع ، ولا سيما ان يدى ما زالت ضعيفة من اثر المرض . فما قولك ؟ »

فابتسمت وقالت : « انى رهن اشارتك ، ويسعدنى جدا ان اتولى عنك هذه المهمة » . ثم استاذنت وانصرفت الى حيث انضمت الى والدتها ووالدته فى الغـرفة المجاورة وجلسن يقطعن الوقت بالحديث متهامسات ، مبالغة فى توفير الهدوء والراحة لسليم

وما خلا الى نفسه فى غرفته حتى سارع الى مجموعة الخطابات الواردة اليه ، وفض الخطاب الذى كتب ظرفه بخط سلمى ، فاذا

هو بخطها من الداخل ايضا ، وقد كتبت فيه تقول :

« ابعين مفتقر اليـــه نظـرتنى ‏ فأهنتنى وقذفتنى من حالق ؟
« لســت الملوم ، انا الملوم ، لاننى ‏ انزلت آمـالى بغـير الخـالق !

« قرات خطابك الاخير اكثر من عشرين مرة ، لعلى استطيع ان اهتدى الى تعليل معقول لما تضمنه من تهم خطيرة وادلة ومستندات ملفقة . ولـكنى لم اجد سببا يمكن الركون اليـه الا انك رغم ذكائك تورطت فى تصديق بعض الحساد وذوى الاغراض

« وقد حاولت اكثر من مرة ان أرجع تلك الاتهامات الباطلة الى رغبتك فى التخلص منى لحاجة اخرى فى نفسك . ولـكنى تذكرت انى صرحت لك فى خطابى الاخير بأنى وان كنت لم احب ولن احب سواك ، لايسعنى الا ان اضحى بسعادتى كلها ما دامت تتعارض مع ما يجب عليك لوالدتك الحنون من طاعة وبر واحسان ، فأحللتك من عهودك لتكون حرا تخطب وتتزوج ممن ترضى عنها والدتك . فهل جزاء من تقدم على مثل تلك التضحية ان تتهمها بالخيانة والغدر والنفاق ؟

« وليت شعرى كيف رضيت لنفسك وانت رجـل صناعتك المحاماة وتمييز الحق من الباطل ، ان تعدل عما كنت تعتقده فى من الطهر والاخلاص ، ثم ترمينى بشر ما ترمى به فتاة ، لا لشىء الا ان رجلا لا تعرفه زعم لك انى اوقعتـه فى حبى ثم اكتشف انى عالقة القلب بصديق لك كنت تنزله منزلة الاخ الشقيق ؟

« واخيرا ، ما هذه الورقة التى ذكرت انهـا وقعت فى يدك اتفاقا ، فكانت صك خيانتى ودليل مكرى وخداعى وتضليلى ؟. اننى لا اريد ان اصدق ابدا انك عنيت ما قلت عن هذه الورقة ولا عن ذلك الصديق . فانا لم اكتب هذه الورقة ولا علم لى بشىء مما فيها ، بل لم اكتب طول حياتى اى خطاب لرجل سواك . وقد عرضت جميع اصدقائك الذين اعرفهم فلم اجد بينهم احدا يمكن ان يصدق فيه ذلك الاتهام !

« واخيرا ، قدر لى ان اقف على حقيقة كنت اجهلها وهى انك

اعتزمت خطبة فتاة من اهل الاسكندرية ، وصدقنى يا سليم اننى لم احقد على هذه الفتاة قط ، بل على عكس ذلك دعوت الله ان يبارك لها فيك ويبارك لك فيها لتعيشا سعيدين بمنجاة من متاعب الوشاة والحساد . وليس هذا لانى لم اتيقن بعد من انك رميتنى بتلك التهم الكاذبة وانت على يقين من كذبها ، ولكن لانى رغم ذلك كله ما زلت ارى قلبى اطهر وانبل من ان ينبذ حب اول من طرق بابه وتربع فيه

« ومهما يكن من امر ، فلا تحسب انى اكتب اليك هذا الخطاب طامعة فى ان تعود الى ماكنا فيه ، او لاحملك على الندم والاسف لمقابلة تضحيتى واخلاصى بالجحود والنكران وتلفيق التهم والاباطيل . ذلك لانى وطدت العزم على اعتزال العالم ، وقضاء ما بقى لى من العمر فى دير أو صومعة اتعبد فيها لخالقى وهو الخبير بما تكن الجوانح والصدور ، واليه ترجع الامور . . سلمى »

□

لم يأت سليم على آخر خطاب سلمى حتى هاجت عواطفه وتناثر الدمع من عينيه ، واخذ يعيد قراءته فى تدبر وامعان ، ثم يتذكر ما لمسه فى سلمى من صدق المحبة والوداد وكمال الخلق والعقل ، ثم يقارن ذلك بالاسباب التى بنى عليها اتهامها واتهام حبيب ، فلاح له انه ظلمهما ، وان داود القبيح الوجه لا يمكن أن تحبه فتاة مثل سلمى ، كما ان دعواه ضدها وضد حبيب ، باعترافه هو نفسه ، ليس فى يده عليها اى دليل !

واخذ يتذكر الورقة التى وجدها فى رواية حبيب ، فلاح له ايضا ان خطها مختلف عن خط سلمى قليلا . فاستبدت به الوساوس وبقى وقتا غير قصير وهو شارد الذهن حائره . ثم افاق من ذهوله وهم بقراءة خطاب سلمى مرة اخرى ، لكنه اشفق على رأسه ان يتصدع من تضارب العوامل المختلفة فيه . فطواه ووضعه

فى جيبه ، ثم تناول من بين الخطابات خطابا آخر كتب بخط يشبه الخط الذى كتبت به خطابات والدته اليه ، فتذكر ان السيدة وردة اخبرته بأن والدته كانت قد ارسلت اليه خطابا طلبت اليه فيه الحضور من القاهرة . وما كاد يفضه ويقرأ اول سطر فيه حتى اخذته الدهشة ، اذ وجد انه موجه الى شخص آخر سواه . فاعاد النظر الى العنوان المكتوب على الظرف فاذا هو عنوانه كاملا غير منقوص

ثم لاحظ ان الشخص الموجه اليه الخطاب من الداخل اسمه داود ، فتذكر ذلك الرجل القبيح الوجه الذى علم منه بخيانة سلمى وحبيب . ومضى يقرأ الخطاب لعل فيه ما يكشف سر ارساله اليه فاذا فيه :

« عزيزى الاجل الماجد الخواجه داود

« بعد السؤال عن صحتك الغالية ، نخبرك باننا تلقينا خطابك الذى ارسلته عقب وصولك الى القاهرة ، وسررنا كثيرا لنجاح حيلتك اللطيفة مع الشخص المعروف ، حتى انه صدق الحكاية التى اخترعتها عن خيانة الفتاة ، وبدت فى وجهه امارات الغيظ والقلق

« كما اننا تلقينا خطابك التالى الذى بشرتنا فيه بنجاح سعيدة فى سرقة الخطاب الذى ارسلناه اليه باسم والدته محذرة اياه ان يستمر فى علاقته بالفتاة وتتهمها واسرتها بالمكر والخداع . ثم نجاح سعيدة فى اطلاع الفتاة على ذلك الخطاب ، الامر الذى اثارها وحملها على مقاطعته واحلاله مما بينهما من العهود

« ولكن مضت مدة غير قصيرة دون ان تتلقى ام صاحبنا اى رد على خطاباتها اليه ، وانت تعلم ان الانتظار يكلفنا مشاق ونفقات جسيمة فى التقرب الى والدته وغير ذلك . ولولا ان اميلى ميالة اليه ما تكبدنا كل ذلك العناء . وعلى كل حال اخبرك باننى اغريت والدته بالكتابة اليه لكى يحضر الى هنا ، وقد كتبت بنفسى مع خطابى هذا اليك خطابا اليه على لسانها . فعليك ان تستمر فى

مراقبته لترى ما يصنع بعد ان يتلقى خطاب والدته المذكور . ولك ازكى تحياتى واشواقى وحبى .. .. وردة »

□

انقشعت الغشاوة بعد ذلك عن عينى سليم ، ووقف على سر المؤامرة التى دبرتها وردة مع داود وسعيدة للتفريق بينه وبين سلمى . ولم يتمالك عواطفه بعد ذلك ، فانهمرت دموعه حزنا وندما على ما جعله يفرط فى حق سلمى ويتهمها ظلما ظلما وعدوانا . ثم انقطع فجأة عن البكاء واخذ فى الضحك بصوت عال فرحا بظهور براءة سلمى وحبيب ، ونجاته من الفخ الذى نصبته لايقاعه وردة وصاحبها اللعين داود

وفيما هو كذلك ، دخلت عليه والدته ، فما كاد يراها حتى قال لها : « اغلقى باب الغرفة من الداخل وتعالى »

فعجبت لذلك الطلب ، ولكنها اغلقت الباب وسارعت اليه متسائلة ، فأشار اليها أن تجلس بجانبه على السرير ، ثم اخذ يشرح لها هامسا جميع الاسرار التى وقف عليها ، ومؤامرة وردة من أولها الى آخرها ، فكادت لا تصدقه لغرابة الامر ولطيبة قلبها لولا أن قرا عليها كتاب وردة التى ارسلته بخطها الى داود ثم اخطأت ووضعته فى الظرف الذى كتبت عليه عنوانه هو لتضع فيه الخطاب الآخر الذى كتبته باسمها اليه

واغرورقت عينا والدة سليم بالدموع وقالت : « ويل لكل خائن غدار ، وويل لى انا ايضا لانى كنت سببا لشقاء سلمى المسكينة ، ولكن عذرى انى كنت مخدوعة ولا اعلم انها ملاك طاهر وان وردة وابنتها من الشياطين الملاعين ! »

فقال سليم : « ليس الذنب ذنبك يا اماه ، ولكنه ذنب تلك الفاجرة اللئيمة التى دبرت دسيستها القذرة ، واشترك معها فى تنفيذها ذلك الشيطان داود ، وخادمتها الخبيثة العجوز ، للايقاع

بسلمى الطاهرة البريئة ، والتفريق بينى وبينها . وان نفسى لتحدثنى بأن انتقم لها منهم شر انتقام »

قالت : « يجب ان نخرج من هنا اولا ، دون ضجة ، ثم ننظر فى الامر بعد ذلك »

وسمعا وقع اقدام واصواتا خارج الغرفة ، فقال سليم لوالدته : « سأتظاهر بورود كتاب الى من القاهرة يدعونى الى السفر اليها حالا لعمل عاجل ، ثم اذهب الى منزلنا حيث تلحقين بى بعد ان اكتب الى حبيب صديقى الوفى المظلوم ، ليذهب الى سلمى ، ويبلغها اننا سنزورها بعد يوم أو يومين لتصفية الجو واعادة المياه الى مجاريها »

فوافقته والدته على ذلك ، ونهضت لتفتح الباب ، بينما نهض هو واخذ فى ارتداء بذلته استعدادا للانصراف

فرحة لم تتم

كانت سلمى قد كتبت خطابها الاخير الى سليم وبعثت به اليه ، بعد ان اقنعتها سعيدة العجوز الماكرة بسوء نية سليم ، وبانه ذهب الى الاسكندرية عقب ارساله خطابه الاخير اليها بوساطتها ، لكى يعقد قرانه بفتاة هناك

وكان داود هو الذى اخبر سعيدة بذهاب سليم الى الاسكندرية ، اذ علم بذلك من خطاب تلقاه من سيدتها وردة

وقد شعرت سلمى منذ تلك اللحظة بانها فقدت كل امل فى علاقتها بسليم ، لانها كانت شديدة الثقة باخلاص سعيدة لها وتفانيها فى خدمتها . فازداد حزنها وضعفها ، وكثيرا ما كانت نفسها تحدثها بالانتقام من سليم على تغريره بها ثم رميه اياها بالخيانة والغدر والخداع فى حين انه اولى بأن تلصق به هذه الصفات

وحدث أن تفقدت خطابه الاخير ذات يوم لتعيد قراءته وتتأمل تلك الورقة التى زعم انها كتبتها بخطها الى شخص آخر تعترف له فيها بانها تحبه ، ولكنها لم تجد تلك الورقة رغم طول بحثها عنها . وذلك لان ادما كانت قد عثرت بها ملقاة بجانب سرير سلمى وهى تعودها ، وعرفت انها الورقة التى كتبتها الى حبيب ، فاحتفظت بها معتقدة ان حبيبا هو الذى جاء بها الى سلمى ، لكى يسخرا منها ويضحكا من سذاجتها وتصديقها ان حبيبا يحبها

وشغلت سلمى بمرضها وحزنها عن مواصلة البحث عن تلك الورقة. اما ادما فانها لم تطق صبرا على البقاء فى منزل سلمى بعدما تبين لها من تآمرها عليها مع حبيب ، فسارعت الى منزلها حيث خلت الى نفسها فى غرفتها واخذت تعض على نواجذها غيظا وندما . ثم لحق

بها ابوها وامها الى المنزل ، فلما شعرت بقدومهما اخفت الورقة ، ثم غسلت وجهها حتى لاتبدو آثار الدموع فى عينيها ، وتظاهرت بانحراف صحتها ولزمت الفراش ، وقد نال اليأس منها كل منال

وعلى رغم انها كانت تود لقاء حبيب لتوبخه او تعاتبه على سخريته منها ، كان قلبها يخفق بشدة ولا تتمالك نفسها من البكاء كلما صور لها اليأس والحزن وسوء ظنها به انه لن يستنكف ان يخاطبها بما يشينها ويحقرها ويحط من كرامتها . فبقيت كذلك حتى ظهر اليوم التالى ، دون ان تتناول اى طعام ، او يراود الكرى جفنيها ، ولم تكن تنقطع عن البكاء الا عند وجود والديها او احدهما فى الغرفة . وهما لايعلمان من امرها الا انها متوعكة الصحة منحرفة المزاج

وفيما هى مستلقية على سريرها ، ووالدتها مشغولة ببعض اعمال المنزل ، وابوها خارج المنزل ، تذكرت تلك الورقة التى كانت سبب بلائها وشقائها ، فاخرجتها من مخبئها ، واخذت تتأملها وتعيد تلاوتها ، وصور لقائها بحبيب فى رحلة الاهرام تتتابع على لوحة مخيلتها ، ثم تعقبها صورته مع سلمى وهما يتأملان خطابها اليه ويضحكان ساخرين. وهنا لم تتمالك نفسها فانفجرت باكية وعلا شهيقها حتى خشيت ان تسمعه والدتها ، لكنها مع ذلك استمرت فيه لعله يخفف بعض ماتعانيه

سمعت ادما بعد قليل طرقا على الباب الخارجى للمنزل، فعادت الى ذهنها صورة حبيب حين كان يأتى للزيارة ، فأخذتها الرجفة واشتد خفقان قلبها . ثم سمعت الباب يفتح وصوت والدتها ينطلق بعبارات التحية والترحيب . وما لبثت قليلا حتى دخلت عليها امها ومعها والدة حبيب وشقيقته ، فلم تتمالك عواطفها عند رؤيتهما واخذت فى البكاء والنحيب . فهمت بها شفيقة وراحت تحتضنها وتقبلها قائلة : « ما هذا يا عزيزتى ، اتبكين هكذا كالاطفال لشعورك بصداع او برد خفيف . لا .. لا .. ان عزيزتى ادما اشجع من ذلك كثيرا ، فهيا دعى عنك هذه الاوهام ، واجلسى لنتمتع بحديثك اللطيف كالمعتاد»

وقبلتها والدة حبيب بدورها وأخذت تواسيها وتشجعها بمثل تلك العبارات . فلم يسعها الا ان تمسح دموعها وتجلس فى فراشها متجلدة لتجاذبهما الحديث . ثم قالت لشفيقة شقيقة حبيب وهى تتكلف الابتسام : « ترى ماذا جرى حتى خطرنا ببالك وجئت لزيارتنا بعد ذاك الغياب الطويل ؟ »

فردت عليها شفيقة وعلى فمها ابتسامة تنم عن طيبة قلبها وبساطتها وقالت : « اننا لا غنى لنا عن زيارتكم ، ولكنا منذ افترقنا بعد رحلة الاهرام اللطيفة كنا فى شغل شاغل خطير ، وقد انتهى بخير والحمد لله »

فلما سمعت ادما ذكر رحلة الاهرام هاجت اشجانها وكادت تعاود البكاء ، لكنها جاهدت لتغالب دموعها وتكبت عواطفها وقالت : « وماذا كان ذلك الشغل الشاغل ، خيرا ان شاء الله ؟ »

قالت : « ان الخواجة سليم اصابته الحمى على اثر تلك الرحلة ، ونظرا الى انه يقيم وحده بالقاهرة ، لأن اسرته فى الاسكندرية كما تعلمين ، نقله اخى حبيب الى منزلنا بحلوان لنقوم بتمريضه وخدمته حتى يشفى . ثم حدث فى اليوم التالى انسافرحبيب الى الاسكندرية دون أن يخبره بذلك لكى يجيىء من هناك بوالدته لتراه . فلما كان عصر ذلك اليوم ، غادر سليم المنزل على أن يتمشى قليلا فى حديقة حلوان العامة . لكنه لم يعد الى المنزل ولم يخبرنا بالمكان الذى قصد اليه . فلما عاد حبيب ووالدة سليم فى صباح اليوم التالى ، سقط فى ايدينا جميعا ، وحسبت والدة سليم انه مات أو انتحر يأسا من الشفاء ، فانقلب جو المنزل الى مثل جو المآتم . وزاد الطين بلة ان حبيبا مضى الى القاهرة مرتين للبحث عنه ولكنه لم يقف على اى اثر له . وهكذا امضى حبيب يومين متتاليين وهو يعانى متاعب السفر والبحث هنا وهناك ، وضاعت كل محاولتنا لتهدئة روع والدة سليم . فلبثنا فى ذلك الشغل الشاغل الخطير حتى صباح أمس اذ تلقى حبيب من سليم خطابا من الاسكندرية اخبره فيه بسفره اليها اتفاقا ، وبعلمه من شقيقه هناك بانه كان هناك فى اليوم السابق وعاد ومعه

والدته . ثم طلب اليه ان يعيدها الى الاسكندرية ففعل . وما كدنا نشعر ببعض الراحة من كل ذلك العناء حتى جئنا لزيارتكم ، فهل هناك بعد ذلك اى تقصير من جانبنا لا سمح الله ؟ »

فسرى عن ادما قليلا لوقوفها على سر تردد حبيب الى منزل سلمى وسفره الى الاسكندرية وانصرافه عنها . لكنها بقيت فى حيرة من امر وجود خطابها الخاص اليه فى غرفة سلمى . واحبت ان تعلم لماذا لم يأت مع والدته وشقيقته ما دام قد اطمأن على صحة صديقه سليم واعاد والدته الى الاسكندرية ، لكن الحياء أمسكها عن السؤال عنه . فاكتفت بأن تنهدت وقالت : « لقد اسفت جدا لمرض الخواجه سليم ، فالحق انه من خيرة الشبان المهذبين الاوفياء ، لكن هل مرضه كان لعلمه بمرض سلمى ؟ ام انها هى التى مرضت لعلمها بمرضه ؟ »

فلم تفطن شفيقة لنكتة ادما ، وقالت فى دهشة : « كيف يكون هذا ؟ ايمرض احد لعلمه بمرض آخر ؟ ام انت تقصدين انتقال العدوى ؟ »

فابتسمت ادما وقالت : « الا تعلمين انهما خطيبان ، وبينهما محبة متبادلة ؟ »

فقالت : « اعلم هذا ، ولكن مرضهما لم يكن بسبب العدوى لانهما لم يتقابلا منذ رحلة الاهرام » . ثم غيرت مجرى الحديث فجأة وقالت لادما : « ما بالك لا تسألين عن حبيب وعدم مجيئه معنا ؟ »

فبغتت ادما ، وخفق قلبها واحمر وجهها ، ثم تجلدت اذ فطنت الى ان شفيقة خالية الذهن لا تعلم شيئا عن علاقتها بشقيقها ، وردت عليها بقولها : « لم اسأل عنه لأنه لابد ان يكون مشغولا بما لديه من أعمال »

وكانت والدتاهما تسمعان تحاورهما ولا تفقهان اكثره لانهماكهما فى حديث آخر . فاقتربت شفيقة من سلمى وهمست فى اذنها قائلة وهى تبتسم : « انه اليوم خال من العمل وقد تركناه فى المنزل وحده »

فلم تفهم ادما من هذه العبارة الا اصرار حبيب على هجرها والاستهانة بها ، وعاودها حنقها عليه فقالت وهى تجاهد لاخفاء

شعورها : « وهل من الضروري ان يتوجه معكما حيث تتوجهان ؟ »

فقالت شفيقة : « كلا ، ولكنه لم يتخلف عن المجيء معنا الا لأمر مهم ! »

فاجفلت ادما ، ولم تعد تستطيع كتمان مابها ، فأشاحت بوجهها وقالت : « هو حر على كل حال . وليس هناك ما يقتضي الاعتذار من تخلفه »

فضحكت شفيقة وقالت : « الواقع انه لم يتخلف الا بسبب ماجئنا لزيارتكم اليوم خصيصا لاجله » . ثم عادت الى الضحك

فازدادت ادما حيرة وارتباكا ، ثم قالت متضجرة : « مالك تتكلمين بالالغاز يا عزيزتي ، وما الذي يضحكك هكذا على غير عادتك ؟ »

فاغرقت شفيقة في الضحك ، ثم التفتت الى والدتها ووالدة ادما ، فاذا بهما قد غادرتا الغرفة ، فقالت : « الم اقل لك ؟ انهما الآن ولاشك تتكلمان في الشأن المهم الذي جئنا للكلام فيه »

فقالت ادما وقد نفد صبرها : « اهناك سر لا يجوز لي ان اطلع عليه ، أم ماذا هناك ؟ » . واغرورقت عيناها بالدموع

فقالت شفيقة : « ليس في المسألة الا ما يسرك ويسرنا جميعا ، ولا استطيع ان اصرح لك الآن بأكثر من هذا ؛ على انك بذكائك المعهود تستطيعين ان تدركي كل ما هناك »

قالت : « صدقيني يا عزيزتي اني لم افهم اي شيء »

فبدت الدهشة في وجه شفيقة ، وتلفتت نحو باب الغرفة كأنها تحاذر ان يسمع احد كلامها ، ثم همست قائلة : « لقد جاءت والدتي لتخطبك لحبيب . فهل فهمت ؟ »

فلما سمعت ادما ذلك ، غلب عليها الحياء وخفق قلبها سرورا ، لكنها لم تصدق النبأ ، او رات التظاهر بأنها لا تصدقه ، فقالت : « دعينا بالله من مثل هذا المزاح ، فليس هذا وقته ، ولا هو مما يليق بنا »

فقالت شفيقة جادة : « وهل عهدتني امزح بمثل ذلك ؟ .. اني

ما قلت لك الا الحقيقة . ولولا ما تعلمين من محبتي لك ما صرحت لك بشيء قبل ان تتم المحادثة في هذا الشأن بين والدتي ووالدتك »

فتحققت ادما ان الامر جد لا هزل ، وكادت الدنيا لا تسعها لفرط سرورها ، لكنها آثرت التجاهل وقالت : « اسمحي لي ان اصرح لك باني غير مستعدة لتصديق ذلك . وعلى كل حال يحسن ان ندع هذا الحديث الآن » . ثم مدت يدها واخذت تفحص نسيج الثوب الذي ترتديه شفيقة وقالت : « انه نسيج بديع ولاشك من اين اشتريته ؟ »

فهمت بها شفيقة وقبلتها ثم قالت وهي تنظر في عينيها : « انك لا تتصورين كم انا سعيدة بخطبتك لحبيب ، فانا احب كليكما كل الحب ، وهذا ما كنت اتمناه مخلصة لكل منكما منذ عهد بعيد »

فلم تتمالك ادما نفسها من البكاء فرحا بهذه البشرى المفاجئة ، وهمت بشفيقة فقبلتها بدورها وهي تقول : « ان اخلاصك مما لاشك فيه »

وبعد قليل عادت والدتاهما الى الغرفة ووجهاهما يتألقان بشرا وسعادة ، وجلسن يتحدثن في مختلف الشؤون العادية ، ثم نهضت والدة حبيب وشقيقته فقبلتا ادما ، وودعتاها وامها وانصرفتا مشيعتين بعبارات المودة والاحترام

□

كان حبيب بعد ان ارتاح باله واطمأن على صديقه سليم ، قد عاد الى الحديث عن ادما مع والدته ، ثم اتفقا على أن تمضي هي وشقيقته لمحادثة والدتها في أمر خطبتها له ، فاذا وجدتا منها قبولا ، ذهب هو لمقابلة ابيها وخطبها منه واعلنا الخطبة رسميا

فلما عادت والدته وشقيقته من مهمتهما ، وجدتاه في انتظارهما بالمنزل نافد الصبر وعلى وجهه آثار القلق والانقباض . فبشرته والدته بأن والدة ادما رحبت بخطبتها له مؤكدة انها سعيدة بذلك لما عهدته فيه من الادب والكمال والنشاط في عمله . كما اكدت ان

الخواجة سعيد والد ادما لن يكون اقل منها ترحيبا وسرورا بهذه الخطبة

فاشرق وجه حبيب ابتهاجا ، ولكنه قلق لما سمعه من ان ادما منحرفة الصحة وكانت معتكفة فى فراشها حين زارتها والدته وشقيقته ، ولم يهدأ باله الا بعد ان أكدتا له انها بخير ولا تلبث قليلا حتى تسترد عافيتها كاملة . ثم استشار والدته فى ان يمر بمنزل ادما فى اليوم التالى بعد خروجه من الديوان لعيادتها ، فقالت له : « ان العادة جرت بأن يمسك الشاب عن زيارة الفتاة التى شرع فى خطبتها حتى يتم عقد الخطبة رسميا » . فتكدر لذلك رغم ان والدته اكدت له ان حرمانه من رؤية ادما لن يستمر اكثر من ايام معدودة ريثما يتم شفاؤها ثم مقابلته لابيها والاتفاق معه على خطبتها

وفى اليوم التالى ذهب الى مقر عمله فى القاهرة كعادته ، وفيما هو يفكر فى ادما ومرضها وعدم استطاعته زيارتها الا بعد ايام ، جاءه خطاب من سليم فى الاسكندرية يقول فيه :

« اخى الحبيب وصديقى الحميم حبيب

« عندى لك حديث طويل ارجئه الى ان نجتمع قريبا بمشيئة الله ، وانما كتبت اليك هذا الخطاب لكى تبادر بمقابلة سلمى وتبلغها فيما بينك وبينها انى شفيت من مرضى ، وكل ما اتمناه ان تكون هى فى خير وعافية ، وان تصفح عن ذنوبى الكثيرة لديها صفح الكرام

« هذا وانى لكبير الامل فى ان تبذل أقصى جهدك فى اقناعها بزوال ما اعترض سبيل خطبتنا من عقبات ، وان تواصل تعزيتها والترفيه عنها حتى اعود الى القاهرة والتقى واياكما بعد ايام. وحينئذ اسمعكما معا ذلك الحديث الطويل الذى اشرت اليه فى اول هذا الخطاب . وهو حديث طريف ينطوى على قصة ليس هناك ما هو اعجب منها ، حتى انها لتفوق كل ما تخيله كتاب الروايات

« ولكم جيعا ازكى تحياتى واشواقى . ودمت لصديقك

« المخلص ..... سليم »

فلما اتم تلاوة خطاب سليم عجب لما تضمنه من الاشارة الى ذلك الحديث الغريب ، واخذ يفكر فيما عساه أن يكون ، فرجح انه يتعلق بما كان من معارضة والدة سليم فى خطبته لسلمى . وسر لنجاح مساعيه لديها فى هذا السبيل ، كما سر لقرب عودة صديقه سليم

وما عاد الى منزله فى حلوان بعد انتهائه من عمله حتى خلا الى والدته واخبرها بالمهمة التى كلفه سليم ان يقوم بها وقال لها : « اننى اخشى الا تتاح لى فرصة اخلو فيها الى سلمى لابلغها رسالة سليم ، ولهذا ارجو ان تعاونينى على انجاز هذه المهمة فما قولك ؟

قالت : « هذا امر سهل ، وغدا امضى انا وشقيقتك معك الى القاهرة لزيارة اسرة سلمى ، ثم نبذل جهدنا انا وشقيقتك فى ان نشغل والديها بالحديث لنتيح لك فرصة تبليغها رسالة سليم دون ان يشعر احد »

فاستحسن راى والدته وشكرها على عنايتها بحل تلك المشكلة

□

كان اليوم التالى يوم جمعة ولا عمل لحبيب بالديوان ، فاصطحب والدته وشفيقة الى المحطة فى ساعة مبكرة من صباح ذلك اليوم ، وما وصل بهم القطار الى القاهرة حتى توجهوا من فورهم الى منزل سلمى ، ففتحت لهم والدتها الباب ورحبت بهم وادخلتهم غرفة الجلوس . فسألتها والدة حبيب عن صحة سلمى فقالت : « انها ما زالت ملازمة فراشها وصحتها تزداد سوءا رغم تناولها الدواء بانتظام ، واملنا فى الله كبير ، وهو القادر على ان يشفيها »

وبعد قليل ، وقفت شفيقة وقالت لها : « هل استطيع الدخول على صديقتى سلمى فى غرفتها الآن » . قالت : « نعم »

وقبل ان تغادر شفيقة غرفة الاستقبال ، استوقفها حبيب ، ثم التفت الى والدة سلمى وقال : « هل استطيع ان اصحب شفيقة لرؤية سلمى والاطمئنان عليها ؟ »



« فلما وجدته جالساً بجانب سرير سلمى أخذها الغضب ، ووقفت ترجف من الغيظ »

فقالت : « ولم لا يابنى ؟ انها ستسر برؤيتكما ولا شك »

فنهض ومضى مع شقيقته ودخلا غرفة سلمى ، فاذا هى ممددة فى سريرها وقد هزل جسمها وامتقع لونها وغارت عيناها ، وما كادت تراهما حتى انفجرت باكية لفرط تأثرها وتذكرها ما كان من امر سليم معها . فهمت بها شفيقة وقبلتها واخذت فى تسليتها والترفيه عنها ومحاولة بث الامل فى الشفاء التام العاجل فى نفسها ، فازدادت سلمى بكاء وقالت : « ان ضعفى يشتد يوما بعد يوم ، واحسب انى لن اغادر هذا الفراش الا بعد أن أغادر الدنيا كلها »

فلم تتمالك شفيقة من البكاء ، وكاد حبيب يبكى معهما لولا ان تذكر المهمة التى جاء لأجلها ، وان فى ابلاغ سلمى رسالة سليم ما قد يخفف من ضعفها وحزنها ، فتجلد ولبث ينتظر أن تسنح له فرصة لأداء تلك المهمة . ثم سمعت شفيقة والدتها تناديها فنهضت ومضت اليها وهى فى غرفة الاستقبال مع والدة سلمى لترى ماتريد ، فقالت لها والدتها : ان خالتك ــ اى والدة سلمى ــ متعبة ولا شك لكثرة ما لديها من الاعمال المنزلية ، ولكنها أصرت على أن نشرب القهوة عندها ، فاشترطت عليها أن تصنعى القهوة انت . فهيا يابنيتى الى المطبخ واصنعى لنا القهوة المطلوبة » . فأشارت شفيقة براسها موافقة وانصرفت للقيام بهذه المهمة

وفيما هى فى المطبخ لاح لها أن تتسلل الى البيت المجاور الملاصق لبيت ادما لتناديها وتأتى بها لتفاجئها بمقابلة حبيب ، وسرعان مانفذت هذه الفكرة

▭

عادت شفيقة الى منزل سلمى ومعها ادما ، ثم دخلت بها فورا غرفة سلمى وهى تضحك مقدما مما تصورته من موقف شقيقها وخطيبته خلال لقائهما المفاجىء الذى دبرته . وكان حبيب قد اخرج خطاب سليم اليه وتلاه على سلمى فلم تتمالك عواطفها وانفجرت باكية ، وتأثر هو ببكائها فبكى بدوره واخذ يهمس فى اذنها بعبارات

التعزية والتشجيع . فما وقعت عليهما عينا ادما وهما فى هذه الحال حتى بغتت ، وخيل لها ان حبيبا ما زال عالقا بسلمى كما رجحت ذلك من قبل ، وان سعى والدته وشقيقته فى خطبتها له لم يكن بارادته وعلمه ، فأخذها الغضب ، ووقفت ترتجف من الغيظ . ثم حاولت التجلد وحيت سلمى مستفسرة عن صحتها ، وهنا نهض حبيب واقترب منها بعد ان افاق من ذهول المفاجأة ، ومد يده لتحيتها فترددت فى مد يدها اليه ، ثم صافحته فى برود من غير ان تنظر اليه او ترد على كلامه . وما لبثت ان غادرت الغرفة مسرعة نافرة ، فانطلقت شفيقة فى اثرها وهى تضحك ، وذهنها خال من حقيقة ما يعتلج فى قلب ادما ، فلما راتها تغادر المنزل فورا عائدة الى منزلها ، اخذت تناديها مستوقفة اياها ، ولكن ادما لم ترد عليها ومضت فى سبيلها لا تلوى على شىء وقد اخذت الغيرة منها كل مأخذ

فعادت شفيقة الى غرفة سلمى مندهشة من تصرف ادما ، فأخذ حبيب يعنفها ويتهمها بالغباء والجهل وانعدام الذوق لادخالها ادما بغير استئذان ، ولما علم منها ان ادما انصرفت غاضبة وعادت الى منزلها فورا ، اشتد غضبه وسألها عما جعل ادما تنصرف هكذا ، فقالت ، « لعلها غضبت من برود استقبالك لها »

فلم يملك نفسه وصاح بها قائلا : « اغربى من وجهى عليك اللعنة ، الم اقل لك انك بلهاء لاتفهمين شيئا ولا تحسنين صنعا قط ؟! »

فخرجت دامعة العينين ، وقلبها يكاد ينفطر غما وحسرة . ثم لاح لها أن تلحق بادما فى منزلها لتقف على سر غضبها ، فما كادت تصل الى المنزل حتى وجدتها قد خلت الى نفسها فى غرفتها وراحت تبكى بصوت مرتفع ، وامها فى شغل عنها ببعض اعمال المنزل ، فدخلت عليها وقالت لها : « شكرا لك يا ادما ، اعلمت ان حبيبا وبخنى واهاننى لانك دخلت عليه دون استئذان ؟ »

فردت عليها غاضبة وقالت : « وهل هذا ذنبى ؟ انما الذنب

عليك انت التى ادخلتنى عليهما وهما فى خلوة يبكيان ويتشاكيان »

فغضبت شفيقة بدورها لهذا الاتهام الذى لم تكن تتوقعه وقالت : « اية خلوة تعنين ؟ واى بكاء ؟.. اتغارين على حبيب الى هذا الحد ، اين عقلك يا عزيزتى ؟ »

فصاحت ادما قائلة بلهجة التهكم والاستخفاف : « اننى مجنونة لاعقل لى يا سيدتى ، ولهذا لا ارانى اصلح لمعاشرة امثالكم من العقلاء ! »

فوجمت شفيقة ، وكفت عما كانت فيه من البكاء منذ طردها شقيقها من غرفة سلمى ، واخذت تجاهد نفسها لتنسى ما شعرت به من الاهانة . لكنها ما لبثت ان سمعت ادما تستأنف كلامها قائلة : « اكان من العقل يا سيدتى أن افاجىء الشاب الذى خطبنى يتناجى مع فتاة اخرى فى غرفة مغلقة ليس فيهما معهما احد ، وهما يبكيان ويتشاكيان ، ثم اذا وجدته قد اذهلته المفاجأة وارتبك ولم يدر كيف يخفى الورقة التى كان يتلوها على فتاته المفضلة ، تقدمت فركعت بين يديه ، وقبلت قدميه متذللة مستعطفة كى يغفر لى ما ارتكبته من جرم فظيع بتعكير صفو تلك الخلوة الجميلة ؟ .. لا .. لا ياسيدتى اننى لا اقبل ابدا مثل هذا الوضع ، ولا يمكن ان اضحى بكرامتى وأرضى لنفسى مثل هذا الخطيب ولو كان اجمل من يوسف واغنى من قارون »

وهنا لم تعد شفيقة تملك اعصابها فقابلت ثورة ادما بمثلها وصاحت بها قائلة : « كفاك سخرية وتهكما يا سيدتى ، اننا مازلنا على البر ، ولم تعقد خطبتك لأخى بعد ، ومادمت لاترينه اهلا لك فانت حرة ، ولك ان تختارى من هو كفؤ لك ، واجدر منه بحبك واحترامك »

وكانت والدة ادما قد سمعت صراخهما فاقبلت لترى ما هناك وقالت لهما : « ما هذا ؟ .. ماذا جرى ؟ »

فقالت ادما : « اتركينى يا اماه ، انى لا اريد ذلك الرجل ابدا ، والموت خير لى من .. »

فقاطعتها شفيقة قائلة : « وهو ايضا لايريدك فاطمئنى » . ثم غادرت المنزل غاضبة باكية ، وما كادت تصل الى العطفة المؤدية الى منزل سلمى حتى لقيت والدتها وشقيقها خارجين منها ، فروت لهما الحكاية من أولها الى آخرها وهى تبكى وتنتحب . فثارت ثائرة حبيب لاستهانة ادما به ومصارحتها شقيقته بانها تؤثر الموت على معاشرته ، وتتهمه بأنه كان فى خلوة مريبة مع سلمى ، فقال لشقيقته : « كفى بكاء يا شفيقة ، اننى ما رغبت فى خطبة هذه الفتاة الا مندفعا باعجابك باخلاقها وادبها . وما دامت هذه حالها فلا رغبة لى فيها »

ثم التفت الى والدته وقال لها : « هل سمعت ؟ .. وهل ادركت الآن لماذا كنت راغبا عن الزواج كل ذلك الوقت »

فقالت : « على رسلك يا بنى ، ان الفتيات كثيرات ، ولك على الا تمضى أيام حتى اخطب لك من هى اجمل واغنى واجدر بك »

□

مضت فترة غير قصيرة ساد فيها السكوت ، ثم التفتت والدة حبيب اليه فجأة وقالت له : « يخيل الى ان هناك سوء تفاهم لم نقف بعد على تفصيله واسبابه ، فانت تعرف كما اعرف ان العلاقة بين شفيقة وادما كانت على اتم ما يكون من الصفاء وتبادل المودة والتقدير ، ولم يحدث بينهما قبل ذلك اى شىء يبرر ماحدث . هذا الى انه حدث فى منزل ادما ، وكانت شفيقة بمثابة ضيفة عليها هناك ، ولم تجر العادة بأن يهين احد ضيوفه . وعلى كل حال لابد من وقوفنا بعد قليل على أسباب ماحدث »

فسكت حبيب ولم يجب ، لاشتغاله بالتفكير فى ذلك الامر العجيب ، اما شقيقته شفيقة فنظرت الى والدتها معاتبة ثم قالت والدموع تكاد تخنقها : « ماهذا الذى تقولين يا اماه ؟. الا تكفى الاسباب التى ابدتها دليلا على انها لا يمكن ان تصلح زوجة لحبيب ؟.

ام تريدين بعد هذا كله ان نتذلل لها ونترامى على اقدامها لعلها تتنازل وتتفضل بقبول خطبة حبيب والتغاضى عن الاتهامات التى الصقتها به ، كانما الدنيا كلها ليس فيها من ترضى الزواج به غيرها ؟! »

فاخذت والدتها فى تهدئة خاطرها ، والنصح لها بالصبر حتى تتكشف الحقيقة بعد قليل

وما زالوا فى مثل هذا الحديث حتى وصلوا الى المحطة واستقلوا القطار عائدين الى منزلهم فى حلوان

على الباغى تدور الدوائر

حاولت والدة ادما ان تلحق بشفيقة بعد خروجها غاضبة ، لكنها لم تستطع اللحاق بها ، ولم تستمع هذه لندائها . فعادت الى ادما واخذت تسألها عما حدث وادى الى تلك القطيعة . فلم تجب ادما واستمرت فى بكائها حتى تفتت قلب والدتها شفقة عليها ، وهمت بهـا فقبلتها قائلة : « لمـاذا لا تصـارحيننى بالحقيقة ، الست والدتك ؟ »

فقالت : « نعم انت والدتى وليس لى فى الحياة من هو اعز منك ، ولهذا أؤكد لك اننى لم اعد اريد حبيبا هذا ولا سواه »

فقالت : « لـكن ماذا جرى ؟. ولماذا لا تريدينه وهو يحبك وقد أرسل والدته وشقيقته لخطبتك له ؟ »

قالت : « انه لا يحبنى ، بل يحب سواى ، وقد تحققت ذلك بنفسى »

فقالت : « عجيبة !.. ومن هى تلك التى يحبها ، وكيف عرفت ذلك ؟ »

فسكتت ادما ، ولـكن والدتها ما زالت تلح عليها حتى علمت منها انها لاحظت من قبل تردده على منزل سلمى ، ولاح لها ان بينهما محبة متبادلة ، لـكنها لم تلق بالا الى ذلك . ولما علمت بانه أرسل يخطبها هى رجحت انها كانت واهمة فى محبته لسلمى ، لـكنها فاجأتهما مصادفة منذ ساعة وهما فى خلوة يبكيان ويتشاكيان ويد كل منهما فى يد الآخر ، ورأت من بغتتهما وارتباكهما ما أكد لها تلك الحقيقة »

وعبثا حاولت والدتها ان تقنعها بانها قد تكون واهمة ، لان سلمى

مخطوبة لسليم صديق حبيب منذ عهد بعيد وان لم تعلن الخطبة رسميا ، ولأن حبيبا لو كان يحب سلمى ما ارسل والدته وشقيقته لخطبتها هى . الى أن قالت لها : « وعلى كل حال ، لنفرض انه أحب سلمى من قبل ، فانه لايلبث بعد عقد خطبتكما وعقد خطبتها رسميا لسليم ، أن ينسى ذلك الحب »

واخيرا ، تم الاتفاق بينهما على ترك الحديث فى هذا الشأن ، والا تذكرا شيئا منه امام ابيها ، فى انتظار ما يكون

كانت وردة قد تآمرت مع ابنتها اميلى على ان تخلو الى سليم وتجتهد فى حمله على وعدها بالاقتران بها واعلان خطبتهما فى اقرب فرصة . وتم الاتفاق بينهما على أن تخرج وردة مع والدة سليم للنزهة خارج المنزل بعد الغداء ، ليخلو الجو لاميلى

فلما انتهوا من تناول الغداء ، وجلسوا فى الشرفة يشربون القهوة ويتحادثون ، قال سليم : « انى اشعر باكتمال صحتى والحمد لله ، وقد جاءنى خطاب من وكيل مكتبى فى القاهرة يتعجل عودتى لمباشرة احدى القضايا المهمة ، وأرى ان أجيب هذا الطلب ، وان كنت اود من صميم قلبى الا افارقكم »

فبغتت اميلى ووالدتها لهذه المفاجاة ، وهما لا تعلمان ما دار من الحديث فى شأنهما بين سليم ووالدته . واكتفت اميلى بأن تظاهرت بالبكاء جزعا من ذلك الفراق ، بينما ابتدرته والدتها قائلة : « ان صحتك يا بنى أغلى واهم من كل شىء ، والاحسن أن تتريث حتى يتم شفاؤك ، ثم تعود الى القاهرة بعد يومين أو ثلاثة »

فقالت اميلى لوالدتها وهى تصوب سهـام عينيها الى سليم : « لا تلحى عليه يا اماه فلعله مل الاقامة بيننا »

فردت عليها والدته بقولها : « ان الاقامة معكم لا يمكن ان تمل ، ويا حبذا لو انها دامت الى الابد »

وقال سليم : « ما اظن ان الابد يكفى »

فقالت وردة : « لو كان هذا صحيحا ، ما رغبت فى التعجيل بالرحيل ، ولكن ماذا نصنع فى حظنا ؟ ان المحبة لا تكون (بالنبوت) . . »

فأخذ سليم يعتذر من تعجيل سفره بأن الضرورة الملحة هى التى اقتضته ، وحرص على ان يظهر لوردة وابنتها انه لا يمكن ان ينسى فضلهما ولطفهما . الى ان اقتنعتا باصراره على السفر ، فقالت وردة : « اذن يحسن ان نقضى اليوم فى النزهة على شاطىء البحر ، كى يعاونك هواؤه النقى على استعادة قواك »

فقال سليم : « انها نزهة جميلة ولاشك ، ولكنى ارى ان انام قليلا بعد الغداء ، اذ اننى متعود ذلك »

فوافقته وردة على أمل ان تخرج هى ووالدته فى تلك النزهة ويخلو الجو لاميلى كى تظفر من سليم بما تريدان من مكاشفتها بحبه اياها ورغبته فى الاقتران بها

على أن والدته اعتذرت من عدم استطاعتها الخروج ، ولم تفارق غرفة سليم حتى استيقظ من نومه بعد ساعة ، متظاهرة باعداد حقائبه للسفر فى الغد . وما كاد يستيقظ حتى اعرب عن رغبته فى ان يمضى ليلته بمنزل شقيقه فؤاد ، كى يودعه وقرينته قبل سفره بقطار الصباح ، فلم تجد وردة واميلى بدا من النزول على رغبته بعد ان اصر عليها قياما بواجبه نحو شقيقه العزيز ، ولان منزله اقرب الى المحطة

ابت والدة سليم الا ان تصحبه الى القاهرة لكى ترى سلمى وتعتذر اليها مما سببته لها من المتاعب والآلام . وكان حبيب فى استقبالهما على المحطة اذ ابرق اليه سليم بموعد وصولهما ، فعانق سليم مهنئا اياه بالشفاء ، وقبل يد والدته مرحبا بها ودعاهما الى

الاقامة معه بمنزله فى حلوان ، فشكراه واجلا ذلك الى ما بعد زيارة سلمى . فقال : « اذن امضى لأحضر والدتى ونذهب جميعا فى هذه المهمة » . فوافقا على ذلك

وما حان العصر حتى كان قد جاء بوالدته الى غرفة سليم بالفندق ، فعانقت والدة سليم وقبلته مهنئة اياه بالسلامة ، واعتذر اليها من مغادرته منزلها دون علمها فقالت له : « ليس بيننا ما يدعو الى الاعتذار » . ثم جلست تتحدث هى ووالدته حديث المودة فى مختلف الشئون . بينما انتحى سليم وحبيب ناحية ، فقص الاول حكايته مع سلمى ، وقص الثانى حكايته مع ادما . ثم اخذا يتضاحكان لما تخلل القصتين من سوء تفاهم ادى الى ما وقعا فيه من مشكلات لم ينتهيا من حلها بعد ، واعتزما الانتقام من داود وسعيدة العجوز الماكرة على مساعيهما الدنيئة لحساب وردة وابنتها

• ثم نهضا واصطحبا والدتيهما الى منزل سلمى ، فلما بلغوا منزل ادما فى الطريق اليه اشتد خفقان قلب حبيب وتطلع الى شرفة غرفة ادما ، فاذا هى مطلة منها ، فلم يعد يقوى على السير ووقف فى مكانه جامدا لايستطيع رد بصره عن التطلع اليها ، وحانت منها التفاتة اليه فلم تصدق انه هو اول الامر ، ثم راته يشير اليها بالتحية ويومىء اليها ان تلحق به الى بيت سلمى . فاخذت تنظر اليه ذاهلة ، ثم تحققت الامر بعد ان تكررت اشاراته لها ووقعت عيناها على سليم بجانبه ولم تكن لذهولها وارتباكها قد تنبهت الى وجوده . فلم يسعها الا ان تومىء اليه بانها ستلحق به الى هناك . وانثنت داخلة من الشرفة حيث خفت الى والدتها وانباتها بما حدث والبشر باد فى محياها قائلة : « ماذا ترين يا اماه ، لعله عاد الى صوابه وندم على ما فرط منه كما كنا نؤمل ؟ »

فوافقتها على هذا الراى ، وقالت لها : « سأذهب معك الى هناك » . ثم تركت ما كانت تقوم به من الاعمال المنزلية ، وسارعت الى ارتداء ثوب الخروج وقلبها لا يقل فرحا عن قلب ابنتها بهذا الاتفاق السعيد

اما سليم فلم يقو على مواجهة سلمى مفاجاة ، لشدة خجله وندمه على ما فرط فى حقها . فاقترح أن تدخل والدتها عليها اولا مع والدة حبيب لتقوم بمهمة التعارف بينهما ، والتمهيد لمقابلته اياها

كانت سلمى بعد ان زارها حبيب وتلا عليها خطاب سليم قد اذهلتها المفاجاة ، وكادت الا تصدق رجوعه الى حبها والايمان بطهرها وعفافها ووفائها ، ثم تحققت ان الخطاب بخطه الذى تعرفه كل المعرفة . فاشرق وجهها ، وشعرت بتحسن كبير فى صحتها . وما كاد حبيب ينصرف من عندها حتى دعت اليها سعيدة خادمتها العجوز وقالت لها : « يلوح لى يا خالتى ان الله جل شانه قد كتب لى الخلاص من الشقاء والمرض »

فادركت سعيدة بدهائها أن لهذا التغيير علاقة بسليم ، ولا سيما بعد زيارة صديقه حبيب لسلمى ، لكنها تظاهرت بالبشر والابتهاج وقالت :-« خيرا يا بنيتى ان شاء الله ، هل سمعت نبأ جديدا عن سيدى سليم ؟ »

قالت : « نعم ، اخبرنى حبيب الآن بانه آت الينا بعد يومين او ثلاثة »

فأجفلت سعيدة خشية على حبوط مساعيها الدنيئة وقالت « وماذا صنع مع تلك الفتاة التى علق بها وذهب الى الاسكندرية لخطبتها ؟ »

فقالت : « تخلص منها بعد أن تبين خطاه »

فوجمت العجوز قليلا ، ثم قالت : « وهل كتب لها خطابا اتهمها فيه بالغدر والخيانة كى يتخلص منها ؟! »

فأحست سلمى بانقباض عند سماعها عبارة العجوز ، اذ ادركت

انها تشير الى خطاب سليم الذى حملته اليها ، لكنها تجاهلت وقالت لها : « لا ادرى كيف تخلص منها ، وعلى كل حال متى حضر سنعرف كل شىء »

فسكتت سعيدة وخرجت من الغرفة متظاهرة بانجازها بعض الاعمال ، ثم غادرت المنزل خلسة وتوجهت مسرعة الى بيت داود ، فقصت عليه ما سمعته ، فقال لها : « هذا كله سببه حمق سيدتك وردة وتسرعها عليها لعنة الله . فهى التى فضحتنا وسببت فشلنا بارسالها الى سليم خطأ ذلك الخطاب الذى كتبته الى ، وجاءنى بدلا منه الخطاب الآخر الذى كتبته باسم والدته تدعوه فيه الى الحضور »

ثم واصل حملته على وردة ونعتها بكل نقيصة متأثرا بضياع آماله فى المكافاة التى وعدته بها . فلما طلبت اليه سعيدة ان يكف عن حملته على سيدتها ، بادرها بالشتم ورفسها فى بطنها رفسة قوية اوقعتها على الارض ، فصرخت من شدة الالم ، وانطلقت تسبه وتلعنه مما زاد فى ثورته وغضبه فاستأنف رفسها وهى توالى الصراخ حتى اجتمع عليهما الجيران والمارة ، وخلصوها من بين يديه وهى مشرفة على الهلاك ، ثم جاء رجال البوليس ، فحملوها الى القسم بين الموت والحياة ، وقادوه مكبلا بالقيود للتحقيق معه فى جريمة شروعه فى قتلها

اجتماع الشمل

تفقدت سلمى سعيدة بعد انصرافها من غرفتها فلم تجدهـا بالمنزل ، وعلمت انها غادرته دون علم والدتها ، فقلقت لذلك ، ثم اشتد قلقها حين جاء المساء دون ان تعـود . وفيما هى كذلك سمعت طرقا على باب المنزل ، ثم سمعت والدتها ترحب بالقادمين وهى تقودهم الى غرفة الاستقبال . وخفق قلبها بشدة اذ طرق سمعها اسم سليم ، وظنت نفسها واهمة ، لـكنها ما لبثت أن سمعت صوته هو نفسه فكاد يغمى عليها من فرط الفرح ، وازداد خفقان قلبها وبردت اطرافهـا ، فسارعت الى استنشاق بعض الروائح العطرية ، ولبثت ترهف سمعها فسمعت صوته واصواتا اخرى عرفت من بينها صوت حبيب ووالدته ، وعجبت لسماعها صوت سيدة اخرى لاتعرفها . ثم شعرت باقتراب الاصوات ووقع الاقدام فى اتجاه غرفتها ، فلم تعد ساقاها تقويان على حملها ، وجلست على السرير محاولة التجلد . ثم فتح باب الغرفة ودخلت والدتها ووالدة حبيب ومعهما سيدة متوسطة العمر بسيطة الملابس يفيض وجهها بالطيبة والبساطة والوقار ، فهمت سلمى بالوقوف لاستقبالهن فبادرتها هذه السيدة بالـكلام قائلة : « لا تتعبى نفسك يا حبيبتى » . وهمت بها فقبلتها فى حنان وهى تقول : « سلمت الف سلامة ، وسلم هذا الوجه اللطيف من كل سوء » . فقبلت سلمى يد السيدة شاكرة وعيناها تدمعان تأثرا ، وما كادت تسمع والدتها تقول : « هذه خالتك العزيزة والدة عزيزنا سليم » . حتى ازداد تأثرها ، وعادت الى تقبيل يدها والدموع تنهمر من عينيها

ثم تقدمت والدة حبيب وقبلتها بدورها ، وقالت لها : « الحمد

لله على سلامتك يا بنيتى » . ثم جلسن حول سريرها وام سليم لاتنى عن التطلع اليها فى اعجاب ملحوظ ، معربة عن اطيب تمنياتها لها بالشفاء التام والسعادة

وبعد قليل قالت والدة حبيب لسلمى : « ان قلوبنا قد اطمأنت برؤيتك اللطيفة يا عزيزتى . ولـكن قلب سليم لا يطمئن الا اذا حظى برؤيتك هو الآخر ، فهل ادعوه من غرفة الاستقبال » . قالت ذلك ونهضت وهى تنظر الى سلمى ، فلما رأتها اطرقت حيـاء وسكتت ، مضت الى غرفة الجلوس وعادت ومعها سليم ، وما كادت عيناه تقعان على سلمى حتى هاجت اشجانه لما شاهد من نحولها وذبول خديها وتكسر اهداب عينيها ، وهم بيدها فامسكها مصافحا والعبرات تتساقط على خديهما وهما يرتجفان . وبقيا كذلك هنيهة وهما لا يستطيعان الـكلام ، ثم قال سليم وهـو ما زال ممسكا يدها : « اصفحى عنى يا سلمى ، اصفحى عن ظلمى وجهلى وحماقتى، انى لا استحق الصفح ولـكنك ملاك طاهر رحيم ، وعفوك اعظم من اساءتى مهما تكن قد سببت لك من الشقاء والعناء .. »

وخنقته عبراته فعاد الى سكوته واطراقه ، فشهقت هى الاخرى بالبكاء ، وترنحت فى وقفتها وازداد امتقاع لونها ، فاجلسها مترفقا على السرير ، وجاءتها والدتها بزجاجة بها رائحة عطرية رشت وجهها بقليل منها . فلما افاقت نظرت الى سليم وهو واقف امامها فى خشوع وقالت له : « ان الله يغفر الذنوب جميعا ، وحسبى من الدنيا انك عدت الى اعتقادك بوفائى واخلاصى »

فشعر لدى سماعه ذلك منها بكثير من الارتياح ، وتنهد ثم حاول الـكلام ليشكرها فلم يستطع لفرط تأثره وبكائه . فهمت والدته بسلمى وربتت كتفها قائلة : « ان هـذا لاكبر دليل على عراقة اصلك ونبل اخلاقك يا بنيتى . والحقيقة انى انا المذنبة فى حقك لا سليم ، لاننى انخدعت بوشاية المغرضين » . ثم اخذت هى الاخرى فى البكاء

وهنا نهضت والدة حبيب ، فاجلست والدة سليم بجانب سلمى ،

وأجلسته امامهما بينها وبين والدة سلمى ، وقالت : « الآن يجب علينا ان نحمد الله على اجتماع الشمل وحبوط مكايد الوشاة والحساد . فلنترك البكاء ولنتهيأ للأفراح »

ثم غيرت مجرى الحديث الى مختلف الشئون العادية ، فجلسوا جميعا يتجاذبون اطرافه فى صفاء وسرور

وبعد قليل فوجىء الجميع بسماع ضحكات عالية فى غرفة الاستقبال ، ثم دخل حبيب ومعه ادما ووالدتها وفى وجوههم دلائل البشر والابتهاج ، وبعد ان حيوا سلمى وهنأوها بالسلامة وبعودة سليم ، انضموا الى المجلس ، واشتركوا فى الحديث

□

كان حبيب قد آثر الانتظار وحده فى غرفة الاستقبال حين مضت والدته لدعوة سليم الى مقابلة سلمى فى غرفتها ، ليفسح له المجال لاظهار عواطفه . وفيما هو كذلك جاءت ادما ووالدتها فوجدتا الباب الخارجى للمنزل مفتوحا ، فدخلتا وفوجئتا بوجود حبيب وحده فى غرفة الاستقبال ، فنهض مرحبا بهما وهم بيد ادما فأمسكها واجلسها بينه وبين والدتها ، ثم اخذ يشرح لهما حكاية سليم وسلمى من أولها الى آخرها ، ومساعيه لاعادة الوفاق بينهما ، الى ان وصل الى زيارته الاخيرة لسلمى لتلاوة خطاب سليم عليها ، وما تلا ذلك من دخول ادما مع شقيقته عليهما ، ثم انصرافهما غيرانة غاضبة ، فاعترفت ادما بأنها تسرعت واخطأت بما تفوهت به أثناء ثورتها امام شقيقة . لكنها بقيت فى حيرة من أمر خطابها الى حبيب وكيف وصل الى سلمى ، فروى لها ما حدث من ان سليما هو الذى عثر بذلك الخطاب اتفاقا حين كان مريضا بمنزلهم فى حلوان ، فظن هو الآخر مثل ظنها وبعث بالخطاب الى سلمى وهو يحسبها كاتبته لمشابهة خطه خطها ، متهما اياها بالغدر والخيانة مما سبب مرضها الذى ما زالت تعانيه

وهكذا صفا الجو بين حبيب وادما ، ثم نهضوا وهم يتضاحكون ودخلوا غرفة سلمى مسلمين مهنئين

وفيما هم جميعا هناك ، جاء الخواجة سليمان ، فرحب بالضيوف ولا سيما سليما ووالدته ، وجلس يشاركهم الحديث بعد ان اطلع على ما حدث باختصار

ثم قالت والدة سليم لوالدة حبيب : « ان كل ما اتمناه الآن ان نحتفل جميعا فى وقت واحد بعقد خطبة سلمى لسليم وادما لحبيب »

فاطرقت سلمى وادما خجلا ، ووافق الجميع على ذلك . وقال حبيب : « لكى تتم فرحتنا ، يجب ان ننتقم اولا من داود الدساس الكذاب وسعيدة العجوز الماكرة »

فضحك الخواجة سليمان وقال : « لقد اراحنا الله منهما وانتقم منهما اعذب انتقام »

فعجب الجميع لهذا النبأ ، والتفوا حوله مستفسرين عما حدث لهما ، فقال : « مررت منذ ساعتين بقسم البوليس فوجدت زحاما شديدا هناك ، وعلمت ان رجلا حاول قتل امرأة عجوز ، فقبض البوليس عليه رهن محاكمته فى هذه الجريمة وعلى ما اتهمته به المصابة من انه حصل على جانب من تعويضات الاسكندرية زورا وبهتانا . ثم رأيت بعض الجنود وهم يحملون العجوز المصابة الى المستشفى وهى بين الموت والحياة ، وما كدت ارى وجهها حتى تبينت انها عجوز النحس سعيدة الماكرة الخبيثة . ولم اكن اعلم تفصيل ما وقفت عليه الآن من لؤمها وخبثها ، وان كنت لم اشعر بالارتياح اليها منذ التحاقها بالخدمة هنا ، فحزنت على ما اصابها . ولعلها قد انتقلت الآن الى جهنم وبئس القرار »

فقالت سلمى : « على الباغى تدور الدوائر » . وامن الجميع على كلامها وهم يحمدون الله على ان كفاهم مؤونة الانتقام من تلك العجوز وصاحبها الخائن الجشع المحتال

واخيرا دعتهم والدة ادما الى تناول العشاء فى منزلها القريب ، فقبلوا الدعوة ، وانتقلوا جميعا الى هناك حيث امضوا السهرة مع الخواجة سعيد والد ادما ، واتفقوا على تحديد يوم لعقد خطبة سلمى وادما ، ثم احتفل بزفافهما معا احتفالا شائقا شهده جميع الاقارب والاصدقاء . واكتفوا من الانتقام من وردة وابنتها بعد خيبة آمالهما بأن ارسلوا اليهما بطاقة من بطاقات الدعوة الى الاحتفال بزفاف سلمى لسليم ، فكان لهذه الدعوة وقع دونه وقع السهام المسمومة على قلبيهما ، ولم تستطيعا تلبيتها طبعا حتى لا تزيد رؤية العروسين فى احزانهما وحسرتهما على خيبة آمالهما

وكان نبأ ما حدث لسعيدة وداود قد جاءهما قبل هذه الدعوة بقليل

وظل اهل القاهرة زمنا طويلا وهم يتحدثون بأبهة ذلك الاحتفال وفخامته ، وبما قاساه المحتفل بهم من جهاد المحبين ، الى ان تكلل ذلك الجهاد بالنجاح